جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

تأملات في أسلوب الترقي في المعنى التفسيري في سورة القدر

الدكتورة

وردة عبدالرحمن عبدالسميع

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق - جامعة الأزهر الشريف - مصر

تأملات في أسلوب الترقي في المعنى التفسيري في سورة القدر

وردة عبدالرحمن عبدالسميع
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، جامعة الأزهر الشريف، مصر.
البريد الالكتروني: Wardaabdasamie2.67@azhar.edu.eg

الملخص:

لما كان القرآن الكريم المنزل على رسوله الأمين، بلسان عربي مبين، المتعبد بتلاوته، المتحدي بأقصر سورة منه، المعجزة الخالدة، معجزًا في نظمه الذي نقتفي فيه آثار المعاني، إذ كل لفظه بل كل حرف قد وضع في موضع سديد يتناسب مع سياق نظمه السابق واللاحق ولو وضع حرف آخر مكانه لاختل المعنى وفسد السياق.

ويحوي هذا الكتاب المعجز في ثناياه أسلوب الترقي في المعنى التفسيري ولدراسته أهمية بالغة في خدمة كتاب الله تعالى وتدبر نظمه المعجز، إذ الترقي هو الانتقال بالمعنى في تدرج وترقي دقيق عام إلى ذروته ليحقق المراد منه وفق المقام الوارد فيه، ففي كل آية معنى تنتظم به مع ما قبلها وما بعدها انتظامًا داخلاً في معنى الإعجاز الذي لا يأتي الخلق بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

ومن ثم كان عنوان البحث: «**تأملات في أسلوب الترقي في المعنى التفسيري في سورة القدر**» وقد تناولت فيه معنى الترقي والتعريف بالسورة الكريمة، وعناصر النظم المؤثرة في الترقي للمعنى التفسيري للسورة الكريمة.

الكلمات المفتاحية: تأملات – أسلوب – الترقي – سورة – القدر.

Reflections On The Method Of Promotion In The Exegetical Meaning In Surat Al-Qadr

Warda Abdel Rahman Abdel Samee
Department Of Interpretation And Quran Sciences, College Of Arabic Islamic Studies For Girls In Zagazig, Al-Azhar Universityk Egypt.
Email: Wardaabdasamie 2.67 @azhar.edu.eg

Abstract:

As the Noble Qur'an revealed to its faithful messenger, in a clear Arabic tongue, worshiped by its recitation, challenged by its shortest surah, the eternal miracle, miraculous in its systems in which we trace the meanings, as every word, rather, every letter has been placed in a correct position commensurate with the context of its previous and subsequent systems. And if another letter was put in its place, the meaning would be distorted and the context would be spoiled.

This miraculous book contains within it the method of progression in the exegetical meaning, and its study is of great importance in serving the Book of God Almighty and managing its miraculous systems. What precedes it and what follows it is a regularity within the meaning of the miraculousness of which creation does not come with the like of it, even if they support each other.

Hence, the title of the research was: "Reflections on the Method of Promotion in the Interpretive Meaning in Surat Al-Qadr." It dealt with the meaning of promotion and the definition of the Noble Surah, and the elements of systems affecting the promotion of the interpretative meaning of the Noble Surah.

Keywords: Reflections - Style - Promotion - Surah - Al-Qadr.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله العظيم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا؛ إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد عبده ورسوله وصفيه من بين خلقه وحبيبه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين، سبحانك اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

وبعد ،،،

فالقرآن الكريم كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فهو الذي لا تنفذ عجائبه، كاملاً في إعجازه وفصاحته وبلاغته معنى ونظمًا فكل لفظة بل كل حرف قد وضع في موضعه السديد المتناسب مع سياق نظمه السابق واللاحق، ولو وضع حرف آخر مكانه لاختل المعنى وفسد السياق.

ويحوي القرآن في ثناياه أسلوب الترقي في المعنى التفسيري، ولدراسته أهمية بالغة في خدمة كتاب الله تعالى، وتدبر نظمه المعجز إذ الترقي هو الانتقال بالمعنى في تدرج وترقي دقيق عام إلى ذروته ليحقق المراد منه ومن المقام الوارد فيه.

ففي كل آية معنى تنتظم به مع ما قبلها وما بعدها انتظامًا داخلاً في معنى الإعجاز الذي لا يأتي الخلق بمثله: ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ ومن ثم كان عنوان البحث: «تأملات في أسلوب الترقي في المعنى التفسيري في سورة القدر»، ولم تسبق دراسة تناوات مثل هذا الموضوع في القرآن الكريم -علي حد علمي- سوي إشارات عامة، في مواضع متفرقة، أغلبها تتعلق بالدراسات القرآنية، المبينة للطائف الاعجاز، كالتقديم والتأخير، وترتيب المفردات، ونظم الكلمات، وتقديم الاولي علي من هو دونه، أهداف الدراسة في موضوع هذا البحث:

* الوقوف علي معني الترقي في اللغة وعند البلاغيين والمفسرين.

*التفريق بين مفهوم الترقي عند البلاغيين والمفسرين من خلال بعض النماذج.

* دراسة عناصر النظم المؤثرة في أسلوب الترقي للمعنى التفسيري للسورة الكريمة.

وذلك من خلال الإجابة علي الأسئلة الآتية:

* ما مفهوم الترقي في اللغة وعند البلاغيين والمفسرين؟

* هل مفهوم الترقي عند البلاغيين هو نفس المفهوم عند المفسرين أو لا؟

* ماالمراد من الترقي الذي يرمي إليه هذا البحث؟

*ما أسلوب الترقي في المعني التفسيري للسورة الكريمة؟ وماهي عناصر النظم المؤثرة في الترقي للمعنى التفسيري للسورة الكريمة؟

وقد اشتمل البحث على: مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهرس للمراجع.

والمقدمة: اشتملت على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وخطة البحث.

المبحث الأول: في معنى الترقي، والتعريف بالسورة الكريمة.

وقد اشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: معنى الترقي في اللغة، وعند البلاغيين، وعند المفسرين، مع النماذج الموضحة لذلك.

المطلب الثاني: التعريف بالسورة الكريمة من حيث:

١- مناسبتها لما قبلها، ولما بعدها.

٢- مكيتها ومدنيتها، وعدد آيها وحروفها.

٣- سبب تسمية السورة بهذا الاسم مدرج معه سبب تسمية ليلة القدر بهذا الاسم.

٤- أغراضها ومقاصدها.

المبحث الثاني: عناصر النظم المؤثرة في الترقي للمعنى التفسيري للسورة الكريمة وذلك وفق الترقي والتدرج النظمي الآتي:

١- التوكيد بـ﴿ إِنَّآ ﴾ واستهلال السورة به.

٢- الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾.

٣- الإضافة: إضافة الفعل إلى ضمير العظمة ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾.

٤- الإضمار في موضع الإظهار ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾.

٥- حروف المعاني وأثرها في الترقي:

(أ) (في) ﴿ فِى لَيْلَةِ ﴾، (ب) الاستغراق الشامل ﴿ ٱلْقَدْرِ ﴾، (ج) (حتى) في ﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾.

(الواو- ما- من- الباء) عند من عدهم من حروف المعاني.

٦- التنكير والإضافة ﴿ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾.

٧- الاستفهام ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾. أي: الواو – ما – عند من عدهما من حروف المعاني.

٨- إعادة اسم ليلة القدر ﴿ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ والتكرير الثالث لها في قوله: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ ﴾ أي الإظهار في موضع الإضمار.

٩- التعبير بصيغة أفعل التفضيل ﴿ خَيْرٌ ﴾.

١٠- التمييز بالشهر في قوله: ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾. و- من - عند من عدها من حروف المعاني.

١١- الفعل المضارع والحال في ترقية المعنى: ﴿ تَنَزَّلُ ﴾.

١٢- الإسناد في جملة ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾.

١٣- التخصيص بعد التعميم في قوله: ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾. و- الواو - عند من عدها من حروف المعاني.

١٤- ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ والتعبير بـ﴿ رَبِّهِم ﴾. و- الباء - و-من- عند من عدهما من حروف المعاني.

١٥- التقديم والتأخير ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ ﴾.

١٦- التعبير بمطلع وإضافته إلى الفجر ﴿ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾.

وخاتمة ذكرت فيها أهم نتائج البحث وأتبعتها بفهرس للمراجع

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم،
وحسبي أني بذلت جهدي والله من وراء القصد وهو سبحانه الهادي إلى سواء السبيل

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي العربي الأمين

وعلى آله وصحبه أجمعين

دكتورة
وردة عبدالرحمن عبدالسميع

تأملات في أسلوب الترقي في المعنى التفسيري في سورة القدر

المبحث الأول

معنى الترقي والتعريف بالسورة الكريمة

وقد اشتمل على مطلبين:

المطلب الأول

معنى الترقي في اللغة، وعند البلاغيين، والمفسرين، والنماذج الموضحة لذلك:

تعريف الترقي في اللغة:

جاء فى معاجم اللغة من معاني (رقا) أنها بمعنى التدرج والصعود والارتفاع يقول ابن منظور(١): ورقي إلى الشيء رقيا ورقوا وارتقى يرتقي وترقى: صعد، ورقى غيره؛ ورقى فلان في الجبل يرقى رقيا إذا صعد.. ويقال: ما زال فلان يترقى به الأمر حتى بلغ غايته. ورقيت في السلم رقيا ورقيا إذا صعدت.

وترقى في العلم أي رقي فيه درجة درجة. ورقى عليه كلاما ترقية أي رفع.(٢)

ويقول الراغب في مفرداته(٣): رقى: رقيت في الدرج والسلم أرقى رقيا، ارتقيت أيضا. قال تعالى: ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾(٤).

---

(١) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، أبوالفضل، جمال الدين بن منظور جـ١٤/صـ٣٣١، ٣٣٢ – ط: دار صادر – بيروت.

(٢) لسان العرب لابن منظور: جـ١/٨٨.

(٣) مفردات غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: صـ٣٦٣ – ط: دار القلم – دمشق – بيروت.

(٤) سورة ص: الآية: ١٠.

وقيل: كيف رَقْيُكَ ورُقْيَتُكَ، فالأول المصدر، والثاني الاسم. قال تعالى: ﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾[1]، أي: لرقيتك.

ورَقِيَ إليه كرضى رقيا: صعد، رقى وترقى[2].

والمراد من الترقي الذي يرمي إليه هذا البحث هو الانتقال بالمعني في تدرج دقيق عام إلى ذروته ليحقق المراد منه وفق المقام الوارد فيه.

الترقي في الدراسات البلاغية والقرآنية (عند البلاغيين وعند المفسرين):

وردت إشارات عامة، في مواضع متفرقة، أغلبها تتعلق بالدراسات القرآنية، المبينة للطائف الاعجاز، كالتقديم والتأخير، وترتيب المفردات، ونظم الكلمات، وتقديم الاولي علي من هو دونه.

فعند البلاغيين هاهو عبد القاهر الجرجاني يقول في دلائل الإعجاز[3].

فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، – وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارا وأمرا ونهيا واستخبارا وتعجبا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة ... هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدّلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة به.

وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ

---

(١) سورة الإسراء: الآية: ٩٣.

(٢) بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب للفيروزآبادي: جـ٣/صـ٩٥، ٩٦ – ط: إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة.

(٣) راجع: دلائل الإعجاز في علم المعاني لأبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني: صـ٣٨، ٣٩ – ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

﴿ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، فتجلّى لك منها الإعجاز، وأبهرك الذي ترى وتسمع، أنك لم تجد ما وجدت من المزيّة الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشّرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا، إلى أن تستقر بها إلى آخرها، وأنّ الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها.

... **وإن شككت، فتأمّل:** هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت، لأدّت من الفصاحة ما تؤدّيه وهي في مكانها من الآية؟

ويقول عبدالقاهر الجرجاني أيضًا[2]: فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا، أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ ...، فنظم الكلم تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتّبها على حسب ترتب المعاني في النفس. فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو «النظم» الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق. ولذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء وما أشبه ذلك، ممّا يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كلّ حيث وضع، علة تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح.

... **والفائدة في معرفة هذا الفرق:** أنك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم، أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل. وكيف يتصور أن يقصد به إلى توالي الألفاظ

---

(١) سورة هود: الآية ٤٤.

(٢) دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني: صـ٤٠، ٤٢، ٤٥.

في النطق، بعد أن ثبت أنه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وأنّه نظير الصياغة والتحبير والنقش، وكل ما يقصد به التصوير، وبعد أن كنّا لا نشك علمنا علما لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس.

وإذا كان كذلك، فعلينا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء، وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها، ما معناه وما محصوله؟

فالترقي عند الامام الجرجاني يتمثل في نظم الكلم، وارتباط بعضه ببعض، من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا، إلى أن تستقر بها إلى آخرها، فتناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل.

وقد حكي ابن أبي الإصبع عن أصحاب الاعجاز أنه نظرا لدقة التخلص ولطفه فقد عدوه وجه الإعجاز فقال[1] في باب براعة التخلص[*] وهو من أجل أبواب المحاسن، ويسمى معرفة الفصل من الوصل[**].

---

(١) راجع: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لعبدالعظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع البغدادي: جـ١/صـ٤٣٣، ٤٣٤ ط: الجمهورية العربية المتحدة – لجنة إحياء التراث الإسلامي، باب براعة التخلص صـ٤٣٤.

(*) براعة التخلص هو: امتزاج آخر ما تقدم الشاعر على المدح من نسب أو فخر أو وصف أو زهو أو نجوم أو غير ذلك بأول بيت من المدح. راجع: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر لأبي الإصبع البغدادي جـ١ صـ٤٣٣.

(**) الفصل والوصل: الوصل هو جمع وربط بين جملتين بالواو خاصة لصلة بينهما في الصورة والمعنى أو لدفع النفس، والفصل هو: ترك الربط بين الجملتين، إما لأنهما متحدتان صورة ومعنى أو بمنزلة المتحدتين، وإما لأنهم لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى. راجع: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد ابن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي جـ١ /صـ١٧٩ – ط: المكتبة العصرية – بيروت.

وقد ذهب أصحاب الإعجاز إلى أنه وجه الإعجاز، وهو دقيق في عين الغبي خفي يخفى على غير الحذاق من ذوي النقد. وهو مبثوث في الكتاب العزيز من أوله إلى آخره، فإنك تقف من الكتاب العزيز على مواضع تجدها في الظاهر فصولاً متنافرة لا تعرف كيف تجمع بينها، فإذا أمعنت النظر وكنت ممن له دراية بهذه الصناعة، ظهر لك الجمع بينهما، كقوله (ﷻ): ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ فإنك إذا نظرت إلى قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ وجدت هذا الفصل مبايناً لما قبله حتى تفكر فتجد الوصل بين الفصلين في قوله: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ فإنه سبحانه أخبر بأنه أسرى بمحمد (ﷺ) ليريه من آياته، ويرسله إلى عباده، كما أسرى بموسى من مصر إذ خرج منها خائفاً يترقب، فأتى مدين، وتزوج بابنة شعيب، وأسرى بها فرأى النار، فخاطبه ربه وأرسله إلى فرعون، وآتاه الكتاب، فهذا الوصل بين هذين الفصلين، وأما الوصل بين ما ذكرت وبين قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ فقد كان على بني إسرائيل نعمة عليهم قدماً حيث نجاهم في السفن، إذ لو لم ينج أباهم من أبناء نوح لما وجدوا، وأخبرهم أن نوحاً كان شكوراً، وهم ذريته، والولد سر أبيه، فيجب أن يكونوا شاكرين كأبيهم.

فيفهم من ذلك أن الترقي عند **ابن أبي الإصبع** ، يتمثل في معرفة الفصل من الوصل(**)

(**) الفصل والوصل: الوصل هو جمع وربط بين جملتين بالواو خاصة لصلة بينهما في الصورة والمعنى أو لدفع النفس، والفصل هو: ترك الربط بين الجملتين، إما لأنهما متحدتان صورة ومعنى أو بمنزلة المتحدتين، وإما لأنهم لا صلة بينهما في الصورة أو=

وهو مبثوث في الكتاب العزيز من أوله إلى آخره مواضع تجدها في الظاهر فصولاً متنافرة لا تعرف كيف تجمع بينها، فإذا أمعنت النظر وكنت ممن له دراية بهذه الصناعة، ظهر لك الجمع بينهما.

علي أن إشارة الشيخ عبدالقاهر الجرجاني السابقة أقرب الي المراد وذلك لعموم كلامه وشموله لمقامات المعاني وما يناسب دقائقها من الألفاظ الناقلة لها بحسب المقامات وهو تدرج وترق يفض إلى الصعود بالمعاني في ألفاظ تنقل المراد منها

وعند المفسرين وردت إشارات عامة في تفسير بعض الآيات، مبينة للطائف الإعجاز، من تقديم وتأخير، وترقي من الأدني إلي الأعلي، حسب سياق الآية الكريمة التي تقتضي تقديم الأدني في المعني (كالمهم مثلا) علي الأعلي في المعني(كالأهم والأبلغ)، وذلك علي سبيل المثال، لا الحصر، في الإنذار والتخويف، والتولي والإعراض، والرد علي المشركين، وفي مراتب الوحي، وفي الدعوة إلي الله، وفي مقام الصبر، وفي الدعاء والطلب، وفي الوصف بالذم أو المدح، وفي إبراز الاهتمام بالمقدم والاعتناء به، وعند قاعدة استصحاب الحال، وفي المخالفة والعناد، وفي ذكر نعم الله (ﷻ) وفي الجزاء والثواب من الله (ﷻ) فيؤخر الأبلغ بغرض الترقي في المعني التفسيري، ومن ذلك: –

=في المعنى. راجع: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد ابن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي جـ١ /صـ١٧٩ – ط: المكتبة العصرية – بيروت.

ما ذكره الإمام ابن عاشور[١] في التحرير والتنوير حيث بين معنى الترقي عند تفسيره في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[٢].

فقال: ثم يغلبون ارتقاء في الإنذار بخيبتهم وخذلانهم، فإنهم بعد أن لم يحصلوا من إنفاقهم على طائل توعدوا بأنهم سيغلبهم المسلمون بعد أن غلبوهم أيضا يوم بدر، وهو إنذار لهم بغلب فتح مكة وانقطاع دابر أمرهم، وهذا كالإنذار في قوله: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[٣]. فهذا ترقي من الأدني إلي الأعلي في الإنذار فبعد حسرتهم علي ماأنفقوه توعدهم سبحانه بقطع دابرهم وبأنهم سيغلبون.

ويبين الترقي أيضًا من الأدني إلي الأعلي، قي التولي والإعراض عن سيدنا رسول الله (ﷺ) عند تفسيره[٤] لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾[٥] فالتولي والبهتان أقوي وأفظع من الشك واللعب.

وتطرق للترقي أيضًا من الأدني إلي الأعلي، من المهم إلي الأهم والأعم في كمال نوعه، في الرد علي المشركين عند تفسيره لقوله تعالى[٦]: ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٧].

---

(١) راجع: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور – جـ٩/صـ٣٤٠، ٣٤١ – ط: الدار التونسية – تونس.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٢.

(٤) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٢٥/صـ٢٩١، ٢٩٢.

(٥) سورة الدخان: الآية ١٤.

(٦) سورة الطور: الآية ٤٣.

(٧) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور جـ٢٧/صـ٧٨.

فإشراكهم مع الله آلهة أخري أشد رمي لشبح كفرهم ؛ لأن الإشراك أجمع ضلال تنضوي تحته الضلالات.

ووضح الترقي في بيان مراتب الوحي، في المعنى التفسيري أيضا، عند تفسيره[1] لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾[2]. فرؤية الرسول (ﷺ) لجبريل (عليه السلام) في العالم العلوي مصاحبا أعظم من رؤيته في الأرض.

وبين الترقي من الأدني إلي الأعلي، في الدعوة إلي الله تعالي في المعنى التفسيري أيضًا في قصة نوح (عليه السلام) في شكواه واعتذاره وذلك عند تفسيره[3] لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾[4]. فسيدنا نوح (عليه السلام) جمع في دعوته إلي الله بين الجهر والإسرار وهذا أقوي في الدعوة وأغلظ من إفراد إحداهما.

وها هو الشيخ الألوسي[5] يبين معنى الترقي في المعنى التفسيري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[6].

---

(١) راجع: التحرير والتنوير جـ٢٧/صـ١٠٠.

(٢) سورة النجم: الآيات ١٣: ١٨.

(٣) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور جـ٢٩/صـ١٩٦، ١٩٧.

(٤) سورة نوح الآيات ٨ – ١١.

(٥) راجع: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبدالله الألوسي جـ١/صـ٤٤٥ – ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

حيث قال: ﴿ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ أي وقت القتال وجهاد العدو وهذا من باب الترقي في الصبر من الشديد إلى الأشد لأن الصبر على المرض فوق الصبر على الفقر والصبر على القتال فوق الصبر على المرض، وعدي الصبر على الأولين بفي لأنه لا يعد الإنسان من الممدوحين إذا صبر على شيء من ذلك إلا إذا صار الفقر والمرض كالظرف له وأما إذا أصاباه وقتا ما وصبر فليس فيه مدح كثير إذ أكثر الناس كذلك وأتى- بحين- في الأخير لأن القتال حالة لا تكاد تدوم في أغلب الأوقات ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ في إيمانهم أو طلب البر. فهذا ترقي من الأدني إلي الأعلي، من (الشديد إلي الأشد) في مقام الصبر؛ فالصبر علي القتال فوق الصبر علي المرض.

وبين الألوسي معنى الترقي من الأدني إلي الأعلي، في الطلب والدعاء إلي الله (ﷻ) أيضًا عند تفسيره[1] لقوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[2]. فترقي في الدعاء من جعل البلد الحرام آمنا، إلي تأكيده بجعله مخوفا حقيقة ؛ فيرتقي لدعاء المضطر.

وتطرق لمعنى الترقي من الأدني إلي الأعلي أيضا، في الوصف بجهل فاحش إلي الوصف بجهل أفحش، عند تفسيره[3]. لقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾[4]. فوصفهم بكونهم شاكين من نفس

(١) راجع: روح المعاني للألوسي جـ٧/صـ٢١٩، ٢٢٠.
(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.
(٣) راجع: روح المعاني للألوسي جـ١٠/صـ٢٢٤.
(٤) سورة النمل: الآية ٦٦.

الآخرة، ثم وصفهم بما هو أفظع منه وهو كونهم عميا اختلت أبصارهم بالكلية عنها.

وبين معنى الترقي من الأدني إلي الأعلي، من المهم إلي الأهم في الوصف، في المعنى التفسيري أيضًا عند تفسيره"[١] لقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾[٢]. فالوصف بالأمانة أهم من الوصف بالقوة.

وها هو الإمام الخطيب الشربيني يبين معنى الترقي في المعنى التفسيري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾[٣] لعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزئي حيث قال: "فإن قيل: لم خصهما بالذكر مع أنه عالم بجميع الأشياء أجيب: بأنه تعالى إنما خصهما؛ به لأنّ البصر لا يتجاوزهما.

فإن قيل: لم قدّم الأرض على السماء؟ أجيب: بأنها إنما قدمت ترقياً من الأدنى إلى الأعلى وهذه الآية كالدليل على كونه حياً[٤]، فهذا ترقي من الأدني إلي الأعلي، وهو من أسباب التقديم.

وها هو الإمام ابن عرفة[٥] يبين معنى الترقي في المعنى التفسيري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾[٦].

---

(١) راجع: روح المعاني للألوسي جـ١٠/صـ٢٧٥.

(٢) سورة القصص: الآية ٢٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥.

(٤) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني جـ١/صـ١٩٥ – ط: بولاق الأميرية القاهرة.

(٥) راجع: تفسير الإمام ابن عرفة لمحمد بن محمد بن عرفة التونسي أبوعبدالله جـ٢/صـ٧٦٢ – ط: مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٧٤.

حيث قال: "قال ابن عطية: عن ابن عباس (ﷺ) نزلت في علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه كانت له أربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية.

قيل لابن عرفة: التصدق بالليل والنهار لايخرج عن كونه سرا (أو) علانية؟ (فقال: لا يصح الاعتراض على السبب وإنما النظر في ذلك عند تطبيق السبب على لفظ الآية، ويفهم هذا بأنه قسمة رباعية فتصدق (بدرهم) بالليل سرا وبدرهم علانية وفي النهار بدرهم سرا وبدرهم علانية).

قال: هو في الآية عندي تفسير «سرا» راجع لليل، «وعلانية» للنهار، بدليل إتيان السرّ غير معطوف.

قال: وعادتهم يقولون لأي شيء قدم السر على العلانية مع أنّ نفقة السرّ أفضل من نفقة العلانية. فهلا بدأ بالعلانية ليكون العطف ترقيا لا تدليا لأن عطف الترقي فيه تأسيس وعطف التدلي فيه ضرب من التأكيد؟

قال: فكانوا يجيبون بقاعدة استصحاب الحال، وذلك لأن نفقة السر أفضل من نفقة العلانية لخلوص النية فيها فإذا أنفق أوّلا سرا بنية خالصة واستصحب تلك النية بعينها في نفقة الجهر (فإنفاق) الجهر بتلك النية الخالصة الغير المشوبة بشيء من الرياء كان في أعلى درجات الطاعة فروعي فيه هذا المعنى فكان ترقيا"، فهذا ترقي من الأدني إلي الأعلي،بقاعدة استصحاب الحال، فنفقة الجهر أعلي بالنية الخالصة من نفقة السر.

وهاهو الإمام أبوالسعود[1] يبين معنى الترقي في المعنى التفسيري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[2] حيث قال:

---

(١) راجع: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود جـ٢/صـ٦ – ط: دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥.

"وتقديم الأرض على السماء لإظهار الاعتناء بشأن أحوالِ أهلِها وتوسيط حرف النفي بينهما للدَلالة على الترقي من الأدنى إلى الأعلى باعتبار القربِ والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة إلى علومنا"، فهذا ترقي من الأدني إلـــي الأعلـــي، وهو من أسباب التقديم.

وبين أيضًا الترقي من الأدني إلي الأعلي، فـــي المخالفـــة والعنـــاد لســـيدنا هود (عليه السلام) عند تفسيره[1] لقوله تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَىٰكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[2]. حيث أخبروا أولا بعدم مجيئه بالبينة، ثم ترك الامتثال بقوله، ثم نفوا التصديق له، ثم أعلنوا أن كلامه من قبيل الهذيانات الصادرة من المجانين.

وها هو الإمام الفخر الرازي[3] يبين معنى الترقي في المعنى التفسيري عنـــد تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾[4].

فيقول: ما الحكمة في تقديم الأشجار المورقة على غير المورقة؟ نقول: هـــي ظاهرة، وهو أنه قدم الورق على الشجر على طريقة الارتقاء من نعمة إلى ذكر نعمة فوقها، والفواكه أتم نعمة، فهذا ترقي من الأدني إلي الأعلـــي، فـــي نعـــم الله (عز وجل) أي: من نعمة إلي نعمة فوقها.

وها هو الإمام شهاب الدين الخفاجي[5] يبين عن الترقي في المعنى التفسيري عند تفسيره لقوله تعـــالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾

---

(١) راجع: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود جـــ٤/صـــ٢١٧.

(٢) سورة هود: الآية ٥٤.

(٣) راجع: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لأبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي جـــ٢٩/صـــ٤٠٦ – ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٤) سورة الواقعة: الآية ٢٨، ٢٩.

(٥) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي المسماة عنايه القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري جـــ٧/صـــ٤١٧ – ط: دار صادر – بيروت.

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ ﴾[1] ، حيث قال: "أي جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم في روضات الجنات لهم فيها ما يشاءون، وإنما أخر ليكون ترقيا من الأدنى إلى الأعلى على وفق الترتيب الوجودي فإنّ القادم ينزل في أنزه مكان، ثم يحضر له ما يشتهي وملاك ذلك أن يخصه رب المنزل بكرامة القرب، ولو جعل حالاً من فاعل يشاء أو ضمير لهم أفاد ما ذكر لكنه فيه جعلى ما هو العمدة فضلة، وهو خلاف مقتضى النظم. فهذا ترقي من الأدني إلي الأعلي، في الجزاء والثواب من الله (ﷻ).

وعند المفسرين أيضًا ما ذكره الإمام السيوطي في اتقانه[2]: عند حديثه عن التقديم والتأخير حيث قال: وقد ألف فيه أي التقديم والتأخير العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابه المقدمة في سر الألفاظ المقدمة قال: فيه الحكمة الشائعة الذائعة في ذلك الاهتمام كما قال: سيبويه في كتابه كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم وهم ببيانه أعنى.

قال: هذه الحكمة إجمالية وأما تفاصيل أسباب التقديم وأسراره فقد ظهر لي منها في الكتاب العزيز عشرة أنواع منها:

الأول: التبرك كتقديم اسم اللَّه تعالى في الأمور ذات الشأن ومنه قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾[3].

الثاني: الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقوله: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ﴾[4] الآية بدأ بالأدنى لغرض الترقي لأن اليد أشرف من الرجل

---

(١) سورة الشوري: الآية ٢٢.

(٢) راجع: الإتقان في علوم القرآن لعبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي: جـ٣ صـ٤٠، ٤٦ – ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣) سورة آل عمران: الآية: ١٨.

(٤) سورة الأعراف: الآية: ١٩٥.

والعين أشرف من اليد والسمع أشرف من البصر ومن هذا النوع تأخير الأبلـــغ وقد خرج عليه تقديم الرحمن على الرحيم والرءوف على الرحيم والرسول على النبي في قوله: ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[1] وذكر لذلك نكت أشهرها مراعاة الفاصلة.

ويقول السيوطي أيضًا[2]: من أسباب التقديم والتأخير وأسراره:

الثالث: التدلي من الأعلى إلى الأدنى وخرج عليه قوله تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[3] وقوله: ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾[4] وقوله: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[5] وقولـــه: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ﴾[6] قال الزمخشري: قدم الجبال على الطير لأن تسخيرها له وتســبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز لأنها جماد والطير حيوان نـــاطق ومنها رعاية الفواصل ومنها إفادة الحصر للاختصاص.

ونبه عليه الزمخشري[7] في الكشاف في مواضع تتعلق بالتقديم والترقـــي من الأدني إلى الأعلى، وهذا ظاهر في تفسيره للبسملة حيث قال: فإن قلت: ما معنى وصف اللَّه تعالى بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها؟ قلت: هو مجاز عن إنعامه على عباده لأنّ الملك إذا عطف علـــى رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وإنعامه، كما أنه إذا أدركته الفظاظة والقسوة

---

(١) سورة مريم: الآية: ٥١.

(٢) راجع: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: جـــ٣/صـــ٤٦، ٤٧.

(٣) سورة البقرة: الآية: ٢٥٥.

(٤) سورة الكهف: الآية: ٤٩.

(٥) سورة النساء: الآية: ١٧٢.

(٦) سورة الأنبياء: الآية: ٧٩.

(٧) راجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمـــرو بـــن أحمـــد الزمخشري: جـــ١/صـــ٨ – ط: دار الكتاب العربي – بيروت.

عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه. فإن قلت: فلم قدّم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه، والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم: فلان عالم نحرير، وشجاع باسل، وجودا فياض؟ قلت: لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها، أردفه الرَّحِيمِ كالتتمة والرديف ليتناول ما دقّ منها ولطف. بل نص الزمخشري[1] في تفسيره علي ان علم المعاني لا يقتضى غير أسلوب الترقي.

وزاده تقريرا ابن المنير[2] في حاشيته علي الكشاف في الموضع الذي ذكر فيه الزمخشري مضمون جملته تلك فقال: هذا المثال بين ما يورد في نقض القانون المقرر، ولكن الحق أولى من المراء، وليس بين المثالين تعارض.

ونحن نمهد تمهيداً يرفع اللبس ويكشف الغطاء فنقول: النكتة في الترتيب في المثالين الموهوم تعارضهما واحدة، وهي توجب في مواضع تقديم الأعلى، وفي مواضع تأخيره. وتلك النكتة مقتضى البلاغة النائى عن التكرار والسلامة عن النزول، فإذا اعتمدت ذلك فمهما أدى إلى أن يكون آخر كلامك نزولا بالنسبة إلى أوله، أو يكون الآخر مندرجا في الأول قد أفاده، وأنت مستغن عن الآخر، فاعدل عن ذلك إلى ما يكون ترقياً من الأدنى إلى الأعلى، واستئنافا لفائدة لم يشتمل عليها الأول، مثاله الآية المذكورة، فإنك لو ذهبت فيها إلى أن يكون المسيح أفضل من الملائكة وأعلى رتبة، لكان ذكر الملائكة بعده كالمستغنى عنه لأنه إذا كان الأفضل وهو المسيح على هذا التقدير عبداً للَّه غير مستنكف من العبودية، لزم من ذلك أن من دونه في الفضيلة أولى أن لا يستنكف عن كونه عبدا لله وهم الملائكة على هذا التقدير، فلم يتجدد إذاً بقوله:

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري: جـ١ /صـ٥٩٦.

(٢) المرجع السابق، وحاشية ابن المنير جـ١ صـ٥٩٤.

﴿ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[1] إلا ما سلف أول الكلام. وإذا قدرت المسيح مفضولا بالنسبة إلى الملائكة، فإنك ترقيت من تعظيم اللَّه تعالى بأن المفضول لا يستنكف عن كونه عبدا له، إلى أن الأفضل لا يستنكف عن ذلك، وليس يلزم من عدم استنكاف المفضول عدم استنكاف الأفضل، فالحاجة داعية إلى ذكر الملائكة، إذ لم يستلزم الأول الآخر، فصار الكلام على هذا التقدير تتجدد فوائده وتتزايد، وما كان كذلك تعين أن يحمل عليه الكتاب العزيز، لأنه الغاية في البلاغة.

فقد علمت أنها نكتة واحدة توجب أحيانا تقديم الأعلى وأحياناً تأخيره، ولا يميز لك ذلك إلا السياق. وما أشك أن سياق الآية يقتضى تقديم الأدنى وتأخير الأعلى.

وما يحتاج المتدبر لآيات القرآن مع التأييد شاهداً سواها ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[2] ولما اقتضى الإنصاف تسليم مقتضى الآية لتفضيل الملائكة، وكانت الأدلة على تفضيل الأنبياء عتيدة عند المعتقد لذلك، جمع بين الآية وتلك الأدلة بحمل التفضيل في الآية على غير محل الخلاف. وذاك أن تفضيل الملائكة في القوة وشدة البطش وسعة التمكن والاقتدار. قال: وهذا النوع من الفضيلة هو المناسب لسياق الآية لأن المقصود الرد على النصارى في اعتقادهم ألوهية عيسى (عليه السلام)، مستندين إلى كونه أحيى الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، وصدرت على يديه آثار عظيمة خارقة، فناسب ذلك أن يقال: هذا الذي صدرت على يديه هذه الخوارق لا يستنكف عن عبادة اللَّه تعالى، بل من هو أكثر خوارق وأظهر آثاراً كالملائكة المقربين الذين من جملتهم جبريل (عليه السلام)، وقد بلغ من قوته وإقدار اللَّه له أن اقتلع المدائن واحتملها على ريشة من جناحه

(١) سورة النساء: الآية: ١٧٢.

(٢) سورة الأنعام: الآية: ٣٨.

فقلب عاليها سافلها، فيكون تفضيل الملائكة إذاً بهذا الاعتبار، لا خلاف أنهم أقوى وأبطش، وأن خوارقهم أكثر. وإنما الخلاف في التفضيل باعتبار مزيد الثواب والكرامات ورفع الدرجات في دار الجزاء. وليس في الآية عليه دليل. ولما كان أكثر ما لبس على النصارى في ألوهية عيسى كونه مخلوقا أى موجوداً من غير أب، أنبأنا اللَّه تعالى أن هذا الموجود من غير أب لا يستنكف من عبادة اللَّه، بل ولا الملائكة المخلوقين من غير أب ولا أم، فيكون تأخير ذكرهم لأن خلقهم أغرب من خلق عيسى. ويشهد لذلك أن اللَّه تعالى نظر عيسى بآدم (ﷺ)، فنظر الغريب بالأغرب، وشبه العجيب من قدرته بالأعجب.

وكأني بابن المنير والزمخشري، وابن عاشور، والألوسي، وابن عرفة، والخطيب الشربيني، وأبي السعود، والرازي، وشهاب الدين الخفاجي من خلال فحوي ماتقدم ينظرون في ترتيب الأهم بالتقديم والأولى بالتأخير بحيث يبني عليه الترقي في الإفادة الكامنة فيما يؤخر مما له علاقة بالمعني في المفردات المشتركة في معني واحد بدليل أن كلامهم في الترقي ورد في مفردين يلتقيان في معني متقارب، في حين أن المراد من الترقي الذي يرمي إليه هذا البحث هو: الانتقال بالمعني في تدرج دقيق عام إلى ذروته، ليحقق المراد منه وفق المقام الوارد فيه، كمن يرقي جبلاً إلى أن يصل إلى ذروته فيكون مشرفاً علي ما تحته محيطًا بما حوله مهيمنا عليه.

علي أن إشارة الشيخ عبدالقاهر الجرجاني السابقة، أعم فيشمل أقوال المفسرين، وأقرب الي المراد، وذلك لعموم كلامه وشموله لمقامات المعاني، وما يناسب دقائقها من الألفاظ الناقلة لها بحسب المقامات، وهو تدرج وترق يفض إلى الصعود بالمعاني في ألفاظ تنقل المراد منها، ففي كل آية معني تنتظم به مع ما قبلها، وما بعدها، انتظامًا داخلاً في معني الإعجاز، الذي لا يأتي الخلق بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

المطلب الثاني
التعريف بالسورة الكريمة من حيث:

- مناسبتها لما قبلها وما بعدها.
- مكيتها ومدنيتها وعدد آيها وحروفها.
- سبب تسمية السورة **الكريمة** بهذا الاسم، ومدرج معه سبب تسمية ليلة القدر بهذا الاسم.
- أغراضها ومقاصدها.

مناسبة السورة لما قبلها:

لما ذكر الله (ﷻ) كتابه في هذا الذكر العربي المعجز، ذكر إنزاله مستحضراً في كل قلب، كان ذلك مغنياً عن إعادته بصريح اسمه، فكان متى أضمره علمه المخاطب بما في السياق من القرائن الدالة عليه، وبما له في القلب من العظمة وفي الذهن من الحضور لا سيما في هذه السورة لافتتاح العلق بالأمر بقراءته، وختمها بالصلاة التي هي أعظم أركانها، فكانت دلالتها عليه دلالة هي في غاية الوضوح، فكان كأنه قال: واقترب بقراءة القرآن في الصلاة، فكان إضماره أدل على العظمة الباهرة من إظهاره، لدلالة الإضمار على أنه ما تم شيء ينزل غيره فهو بحيث لا يحتاج إلى التصريح به[1]، قال مفخماً له بأمور: إضماره، وإسناد إنزاله إليه، وجعل ذلك في مظهر العظمة، وتعظيم وقت إنزاله المتضمن لعظمة البلد الذي أنزل فيه – على قول الأكثر، والنبي الذي أنزل عليه، مؤكداً لأجل ما لهم من الإنكار، ﴿ إِنَّآ ﴾ أي لما لنا من العظمة ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾.

(١) راجع: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي: ١٧٧/٢٢ – ط: دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.

فمناسبتها لما قبلها ظاهر، لما قال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾، فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا، إنا أنزلناه في ليلة القدر، والضمير عائد على ما دل عليه المعنى، وهو ضمير القرآن(١).

مناسبة السورة الكريمة لما بعدها:

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾(٢).

لما أخبر (ﷻ) أن الليلة الشريفة التي صانها بنوع خفاء في تنزل من يتنزل فيها وفي تعيينها لا تزال قائمة على ما لها من تلك الصفة حتى يأتي الفجر الذي يحصل به غاية البيان، أخبر أن أهل الأديان سواء كان لها أصل من الحق أم لا لم يصح في العادة الجارية على حكمة الأسباب في دار الأسباب أن يتحولوا عما هم فيه إلا بسبب عظيم.

كون بيانه أعظم من بيان الفجر، وهو القرآن المذكور في القدر والرسول المنزل عليه ذلك فقال: ﴿ لَمْ يَكُنِ ﴾ أي في مطلق الزمان الماضي والحال والاستقبال كوناً هو كالجبلة والطبع، وهذا يدل على ما كانوا عليه قبل ذلك من أنهم يبدلون ما هم عليه من الكفر أو الإيمان بكفر أو بدعة ثم لا يثبتون عليه لأن ذلك ليس في جبلاتهم، وإنما هو خاطر عارض كما هو محكيّ عن سيرتهم من بعد موسى (ﷺ) لما كانت تسوسهم الأنبياء (ﷺ) كما دل على بعض ذلك قوله تعالى: ﴿ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ﴾(٣) وكذا المشركون كانوا يبدلون دين إسماعيل (ﷺ) ولا ينفصلون عنه بالكلية، وتارة يعبدون

(١) راجع: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي: جـ١٠/٥١٣ – ط: دار الفكر – بيروت.

(٢) سورة البينة: الآية ١.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧١.

الأصنام، وتارة الملائكة، وأخرى الجن، ولم يكونوا يثبتون على حالة واحدة ثباتاً كلياً مثل ثباتهم على الإسلام بعد مجيء البينة ونسيانهم أمور الجاهلية بالكلية حتى نسوا الميسر، فلم يكن أحد من أولادهم يعرف كيفيته وكذا السائبة وما معها وغيرها ذلك من خرافاتهم ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي سواء كانوا عريقين في الكفر أم لا[1].

مكيتها ومدنيتها وعدد آيها وحروفها:

مكية في قول أكثر المفسرين

وذكره الواقدي: أنها أول سورة نزلت بـ"المدينة"، وهي خمس آيات، وثلاثون كلمة، ومائة واثنا عشر حرفا[2].

فهي مكية في قول الجمهور وهو قول جابر بن زيد ويروى عن ابن عباس. وعن ابن عباس أيضا والضحاك أنها مدنية ونسبه القرطبي إلى الأكثر. وقال الواقدي: هي أول سورة نزلت بالمدينة ويرجحه أن المتبادر أنها تتضمن الترغيب في إحياء ليلة القدر وإنما كان ذلك بعد فرض رمضان بعد الهجرة.

وقد عدها جابر بن زيد الخامسة والعشرين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة عبس وقبل سورة الشمس، فأما قول من قالوا إنها مدنية فيقتضي أن تكون نزلت بعد المطففين وقبل البقرة.

وآياتها خمس في العدد المدني والبصري والكوفي، وست في العد المكي والشامي[3].

---

(١) راجع: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي جـ٢٢/صـ١٨٥، ١٨٦.

(٢) راجع: اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي: جـ٢٠/صـ٤٢٦ – ط: دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، ومحاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن القاسم: جـ٩ صـ٥١٦ – ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠/٤٥٥.

سبب تسمية السورة الكريمة بهذا الاسم ومدرج معه سبب تسمية ليلة القدر بهذا الاسم:

سميت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة «سورة القدر» وسماها ابن عطية في «تفسيره» وأبوبكر الجصاص في «أحكام القرآن» «سورة ليلة القدر»(١).

فسميت بسورة القدر لورود كلمة القدر مضاقة إلي ليلة ثلاث مرات فيها، واختلفوا في أنه لم سميت هذه الليلة ليلة القدر، على وجوه متنوعة:

أحدهما: أنها ليلة تقدير الأمور والأحكام، قال عطاء، عن ابن عباس:

إن الله قدر ما يكون في كل تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماتة إلى مثل هذه الليلة من السنة الآتية، ونظيره قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾(٢) واعلم أن تقدير الله لا يحدث في تلك الليلة، فإنه تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض في الأزل، بل المراد إظهار تلك الليلة المقادير للملائكة في تلك الليلة بأن يكتبها في اللوح المحفوظ، وهذا القول اختيار عامة العلماء.

الثاني: نقل عن الزهري أنه قال: ليلة القدر ليلة العظمة والشرف من قولهم لفلان قدر عند فلان، أي منزلة وشرف، ويدل عليه قوله: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾(٣) ثم هذا يحتمل وجهين **أحدهما:** أن يرجع ذلك إلى الفاعل أي من أتى فيها بالطاعات صار ذا قدر وشرف، **وثانيهما:** إلى الفعل أي الطاعات لها في تلك الليلة قدر زائد وشرف زائد.

---

(١) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠/٤٥٥.

(٢) سورة الدخان: الآية ٤.

(٣) سورة القدر: الآية ٣.

والقول الثالث: ليلة القدر، أي الضيق فإن الأرض تضيق عن الملائكة [١].

قال عكرمة: كان ابن عباس يسمي ليلة القدر ليلة التعظيم، وليلة النصف من شعبان ليلة البراءة، وليلتي العيدين ليلة الجائزة[٢].

أغراضها:

التنويه بفضل القرآن وعظمته بإسناد إنزاله إلى الله تعالى...

والرد على الذين جحدوا أن يكون القرآن منزل من قبل الله (ﷻ).

ورفع شأن الوقت الذي أنزل فيه ونزول الملائكة في ليلة إنزاله.

تفضيل الليلة التي توافق ليلة إنزاله من كل عام.

ويستتبع ذلك تحريض المسلمين على تحين ليلة القدر بالقيام والتصدق[٣].

وقد تدرجت السورة، وترقت في تصوير المعني التفسيري بألفاظ دالة مصورة يبني بعضها علي بعض، في نسق بياني باهر، وتصوير معجز قاهر، ونظم السورة بهذا التدرج الحكيم، وذلك الترقي العجيب، ترقي بالمعني التفسيري، فتظافرت عناصر النظم علي هذا الحدث الهائل، فكل عنصر من عناصر النظم في السورة، أسهم بذاته إلى سياق إخوته، وانضم إلي ما قبله، وإلي ما بعده، في تناسق، وتآزر، حتي تحققت الأغراض، والمقاصد البيانية الربانية، في هذه السورة القرأنية، الجامعة لخيرية تلك الليلة الموعودة المشهودة، ليلة الاتصال المطلق بين الأرض، والملأ الاعلي، ليلة بدء نزول القرآن، علي قلب سيدنا محمد ليلة الحدث العظبيم، الذي لم تشهد الأرض مثله، ليلة العظمة، التي لا يحيط بها الإدراك البشري ليلة القدر.

---

(١) راجع: مفاتيح الغيب للرازي: جـ٣٢ صـ ٢٢٩.

(٢) راجع: النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد البغدادي الشهير بالماوردي جـ٦ /٣١٣ – ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

(٣) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: ٣/٤٥٥، ٤٥٦.

المبحث الثاني

عناصر النظم المؤثرة في الترقي للمعني التفسيري للسورة الكريمة وذلك وفق الترقي والتدرج النظمي الآتي:

إن من يدقق النظر في نظم هذه السورة الكريمة، ويدقق الفكر في دلالات نظمها، يجد أنه قد اجتمع فيها من عناصر النظم المؤثرة، ومظاهر البيان المعجز، واجتماع تلك العناصر النظمية، وانضمام تلك الظواهر اللغوية، أمارة من أمارات إعجازها، وإن شاء الله تعالي سنقف وقفات تفسيرية، بيانية، مع كل عنصر علي حدة، حتي نتعرف علي الوظيفة اللغوية، التي أداها في النظم الحكيم، لنصل الي درجة الترقي في المعني التفسيري، وذلك وفق الترقى، والتدرج النظمي الآتي:

١- التوكيد بـ﴿ إِنَّآ ﴾ واستهلال السورة به.

٢- الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾.

٣- الإضافة: إضافة الفعل إلى ضمير العظمة ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾.

٤- الإضمار في موضع الإظهار ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾.

٥- حروف المعاني وأثرها في الترقي:

(أ) (في) ﴿ فِى لَيْلَةِ ﴾، (ب) الاستغراق الشامل ﴿ ٱلْقَدْرِ ﴾، (ج) (حتى) في ﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ (الواو- ما- من- الباء-) عند من عدهم من حروف المعاني.

٦- التنكير والإضافة ﴿ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾.

٧- الاستفهام ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾. و- الواو- ما- عند من عدهما من حروف المعاني.

٨- إعادة اسم ليلة القدر: ﴿ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ والتكرير الثالث لها في قوله: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ ﴾ الإظهار في موضع الإضمار.

٩- التعبير بصيغة أفعل التفضيل ﴿ خَيْرٌ ﴾.

١٠- التمييز بالشهر في قوله: ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾. و-من - عند من عدها من حروف المعاني.

١١- الفعل المضارع والحال في ترقية المعنى: ﴿ تَنَزَّلُ ﴾.

١٢- الإسناد في جملة: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾.

١٣- التخصيص بعد التعميم في قوله: ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾. و- الواو-عند من عدها من حروف المعاني.

١٤- ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ والتعبير بـ﴿ رَبِّهِم ﴾. و- الباء - من- عند من عدهما من حروف المعاني.

١٥- التقديم والتأخير ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ ﴾.

١٦- التعبير بمطلع وإضافته إلى الفجر ﴿ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾.

١ـ التوكيد بـ(إنا) واستهلال السورة به:

لقد ذكر الله تعالى في بعض المواضع: إني كقوله: ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [١] وفي بعض المواضع إنا كقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [٢].

---

(١) * في عدة الحروف.

ذكر بعض النحويين أن جملة حروف المعاني ثلاثة وسبعون حرفاً. وزاد غيره على ذلك حروفاً أخر، مختلفاً في حرفية أكثرها. وذكر بعضهم نيفاً وتسعين حرفاً. وقد وقفت على كلمات أخر مختلفا في حرفيتها، ترتقي بها عدة الحروف على المائة. وهي منحصرة في خمسة أقسام: أحادي، وثنائي، وثلاثي، ورباعي، وخماسي راجع: الجنى الداني في=

و﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾[1]، ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾[2]، ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[3]. واعلم أن قوله: إنا تارة يراد به التعظيم، وحمله على الجمع محال لأن الدلائل دلت على وحدة الصانع، ولأنه لو كان في الآلهة كثرة لانحطت رتبة كل واحد منهم عن الإلهية، لأنه لو كان كل واحد منهم قادرا على الكمال لاستغنى بكل واحد منهم عن كل واحد منهم، وكونه مستغنى عنه نقص في حقه، فيكون الكل ناقصا، وإن لم يكن كل واحد منهم قادرا على الكمال كان ناقصا، فعلمنا أن قوله: إنا محمول على التعظيم لا على الجمع[4].

فقد اشتملت هذه الآية على تنويه عظيم بالقرآن فافتتحت بحرف (إن) وبالإخبار عنها بالجملة الفعلية، وكلاهما من طرق التأكيد والتقوي. ويفيد هذا التقديم قصرا وهو قصر قلب[*] للرد على المشركين الذي نفوا أن يكون القرآن

=حروف المعاني: ص: ٢٨، ٢٩ وهي عند الرماني ستون حرفا،وعند ابن هشام مائة وخمسة منهم ماهو اسم محض ومنهم ماهو فعل محض راجع معاني حروف المعاني عند ابن هشام والرماني بحث مقارن للدكتور عباس الترجمان: صـ ٣٢,٣٣ ط١٤٠٤هـ – ط مؤسسة الأعلمي – طهران – مطبعة الاحمدي

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٢) سورة القدر: الآية ١.

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

(٢) سورة نوح: الآية ١.

(٣) سورة الكوثر: الآية ١.

(٤) راجع: مفاتيح الغيب للفخر الرازي جـ٣٢/صـ٢٢٨.

(*) قصر القلب هو: من أقسام القصر الإضافي (الذي هو أن يختص المقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر معين لا لجميع ما عداه) فقصر القلب من أقسامه على حسب حال المخاطب وذلك إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم التي تثبته ردًا على ما اعتقده. راجع: جواهر البلاغة في البيان والمعاني والبديع لأحمد بن إبراهيم الهاشمي جـ١ صـ١٩، ٢٠، ١٩٢ بتصرف.

منزل من الله تعالى، وأن يكون المعجزة الخالدة للنبي (ﷺ)[1].

فهذه الآية كافية بالرد علي الشبهات، ودفعها، والتي منها ماوردت في مناهل العرفان للشيخ الزرقاني[2] حيث عالج عشر شبهات يرددها كثير من المفتونين. ونكتة افتتاح معاني السورة الكريمة بحرف إن، والإخبار عنها في الجملة الفعلية، وكلاهما من طرق التأكيد والتقوي، تأسيس وتقوية وتأكيد ما بعده من الترقي في المعنى التفسيري، وذلك في إثبات أن القرآن منزل من عند الله (ﷻ)، والرد على المشركين الذين نفوا أن يكون القرآن منزل من قبل الله (ﷻ).

٢ـ الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة (أنزلنا):

الذي يفيد الإنزال دفعة واحدة، بخلاف التنزيل الذي يفيد التدرج، ففي معجم الفروق اللغوية الفرق بين الإنزال والتنزيل: قال بعض المفسرين: الانزال: دفعي، والتنزيل: للتدريج.

قلت: ويدلك عليه قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[3] حيث خص القرآن بالتنزيل، لنزوله منجمًا، والكتابين بالإنزال لنزولهما دفقة.

وأما قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[4] فالمراد هناك مطلقا من

---

(١) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: ج٣٠ /صـ٤٥٦.

(٢) راجع: مناهل العرفان للشيخ الزرقاني: جـ١/صـ٧٦: صـ٨٧ ، ط: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣.

(٤) سورة الكهف: الآية ١.

غير اعتبار التنجيم، وكذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[1].

فإن المراد إنزاله إلى سماء الدنيا، ثم تنزيله منجما على النبي صلى الله عليه وآله في ثلاث وعشرين كما وردت به الروايات[2].

* فيجوز أن يراد به القرآن كله فيكون فعل: «أنزلنا» مستعملا في ابتداء الإنزال لأن الذي أنزل في تلك الليلة الخمس الآيات الأول من سورة العلق ثم فتر الوحي ثم عاد إنزاله منجما ولم يكمل إنزال القرآن إلا بعد نيف وعشرين سنة، ولكن لما كان جميع القرآن مقررا في علم الله تعالى مقداره وأنه ينزل على النبيء (ﷺ) منجما حتى يتم، كان إنزاله بإنزال الآيات الأول منه لأن ما ألحق بالشيء يعد بمنزلة أوله ومن تسديد ترتيب المصحف أن وضعت سورة القدر عقب سورة العلق مع أنها أقل عدد آيات من سورة البينة وسور بعدها، كأنه إماء إلى أن الضمير في أنزلناه يعود إلى القرآن الذي ابتدئ نزوله بسورة العلق.

ويجوز أن يكون الضمير عائدا على المقدار الذي أنزل في تلك الليلة[3] فقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ فيه وجهان: **أحدهما:** يعني جبريل، أنزله الله في ليلة القدر بما نزل به من الوحي. الثاني: يعني القرآن؛ وفيه قولان: أحدهما: ما روى ابن عباس قال: نزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله تعالى في اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام

---

(١) سورة القدر: الآية ١.

(٢) راجع: معجم الفروق اللغوية لأبي هلال حسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (الفروق اللغوية بترتيب وزيادة) صـ٧٩ – ط: مؤسسة النشر الإسلامي.

(٣) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور جـ٣٠/٤٥٦.

الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفرة على جبريل في عشرين ليلة، ونجمه جبريل على النبي (ﷺ) في عشرين سنة، وكان ينزل على مواقع النجوم أرسالاً في الشهور والأيام.

القول الثاني: أن الله تعالى ابتدأ بإنزاله في ليلة القدر، قاله الشعبي[١].

ومعلوم أن الإنزال مستعار للمعاني من الأجرام، شبه نقل القرآن من اللوح إلى السماء وثبوته فيها بنزول جسم من علو إلى سفل، فعلى هذا هو مجاز مستعار[٢].

ولا يخفى ما أفاده لفظ الإنزال للترقي في المعنى التفسيري من حيث إفادته الإنزال دفعة واحدة مما اقتضاه المقام.

٣ـ الإضافة إضافة الفعل الي ضمير العظمة (أنزلنا):

وفي ضمير العظمة وإسناد الإنزال إليه تشريف عظيم للقرآن[٣]، فينبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت إنزاله[٤] فبإضافته ارتقى بالمعنى التفسيري إلى منتهاه.

٤ـ الإضمار في موضع الإظهار (أنزلناه):

وفي الإتيان بضمير القرآن دون الاسم الظاهر إيماء إلى أنه حاضر في أذهان المسلمين لشدة إقبالهم عليه فكون الضمير دون سبق معاد إيماء إلى شهرته بينهم[٥].

---

(١) راجع: النكت والعيون للماوردي: جـ٢/صـ٣١١، ٣١٢.

(٢) راجع: فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي القنوجي: جـ١٥/٣٢٢.

(٣) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠/صـ٤٥٦.

(٤) راجع: إرشاد العقل السليم لأبي السعود جـ٩/صـ١٨٣.

(٥) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠/صـ٤٥٦.

وتنويه بشأن القرآن وإجلال لمحله بإضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به[١].

فالهاء ضمير القرآن ولم يجر له ذكَر في أول السورة ولكنه جرى ذكره فيما قبلها، وهو قوله: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾[٢]، وهي لَيْلة القَدْرِ أي: إنا أنزلنا القرآن إلى السماء الدنيا جملة [واحدة] في ليلة القدر. فهذا إضمار لم يتقدم له ذكر في السورة، لأنه قد (عرف)، وقيل: إنما جاز ذلك، لأن القرآن كله كالسورة الواحدة[٣].

وقيل: الهاء تعود على المنزل، ودل "أنزلنا" على المنزل، والمنزل هو القرآن[٤].

وأجمع المفسرون على أن المراد: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾، ولكنه تعالى ترك التصريح بالذكر، لأن هذا التركيب يدل على عظم القرآن من ثلاثة أوجه أحدها: أنه أسند إنزاله إليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني: أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التصريح، ألا ترى أنه في السورة المتقدمة لم يذكر اسم أبي جهل ولم يخف على أحد لاشتهاره،

(١) راجع: إرشاد العقل السليم لأبي السعود جـ٩ صـ١٨٣.

(٢) سورة الدخان: الآية ١ – ٣.

(٣) راجع: معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل أبوإسحاق الزجاج جـ٥/صـ٣٤٧ – ط: عالم الكتب – بيروت.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه لأبي محمد مكي بن أبي طالب حموش الأندلسي القرطبي: جـ١٢/٨٣٦٥، ٨٣٦٦ – ط: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة – الدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة.

وقوله: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾[1] لم يذكر الموت لشهرته، فكذا هاهنا والثالث: تعظيم الوقت الذي أنزل فيه[2].

فقد أسهم هذا الإضمار الذي هو في موضع الإظهار في الترقي المعنى التفسيري إلى منتهاه من حيث دلالته على عظم القرآن وإيذاناً بغاية نباهته المغنية عن التصريح به.

٥ ـ حروف المعاني وأثرها في الترقي والإقناع وهي: *

١- [في] في قوله: ﴿ فِي لَيْلَةِ ﴾. ٢- الاستغراق الشامل ﴿ ٱلْقَدْرِ ﴾. ٣- [حتى] في ﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ﴾. الواو – ما- الباء- من – عند من عدهم من حروف المعاني.

١ – حرف [في] في قوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى ﴾:

[في] حرف جر، وله تسعة معان: **الأول:** الظرفية. وهي الأصل فيه، ولا يثبت البصريون غيره. وتكون للظرفية حقيقة، نحو: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٨٣.

(٢) راجع: مفاتيح الغيب للفخر الرازي: جـ٣٢/صـ٢٢٨.

** في عدة الحروف

ذكر بعض النحويين أن جملة حروف المعاني ثلاثة وسبعون حرفاً. وزاد غيره على ذلك حروفاً أخر، مختلفاً في حرفية أكثرها. وذكر بعضهم نيفاً وتسعين حرفاً. وقد وقفت على كلمات أخر مختلفا في حرفيتها، ترتقي بها عدة الحروف على المائة. وهي منحصرة في خمسة أقسام: أحادي، وثنائي، وثلاثي، ورباعي، وخماسي راجع: الجنى الداني في حروف المعاني: ص: ٢٨، ٢٩ وهي عند الرماني ستون حرفا،وعند ابن هشام مائة وخمسة منهم ماهو اسم محض ومنهم ماهو فعل محض راجع معاني حروف المعاني عند ابن هشام والرماني بحث مقارن للدكتور عباس الترجمان: صـ ٣٢,٣٣ ط١٤٠٤هـ – ط مؤسسة الأعلمي – طهران – مطبعة الاحمدي.

مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾[1]. ومجازاً، نحو: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾[2].

الثاني: المصاحبة، نحو: ﴿ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ ﴾[3] أي: مع أمم.

الثالث: التعليل، نحو: ﴿ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ ﴾[4]، ﴿ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ ﴾[5].

مذهب سيبويه، والمحققين من أهل البصرة، أن في لا تكون إلا للظرفية حقيقة أو مجازاً. وما أوهم خلاف ذلك رد بالتأويل إليه. والله سبحانه أعلم[6].

فالظرف في الأصل اللغوي هو ما كان وعاء للشيء لذا سميت الأواني ظروفًا تستوعب ما فيها كما سميت الأزمنة والأمكنة ظروفًا لأن الأحداث والأفعال تحصل فيها فهي كالأوعية لها[7].

وفي اللباب[8] يجوز أن يكون (في) في قوله: ﴿ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ ظرفًا للإنزال، وقيل المعنى أنزل في شأنها وفضلها، فليست ظرفًا، وإنما كقول عمر (رضي الله عنه) «خشيت أن ينزل في قرآن».

فقد أسهم الظرف (في) في ترقية المعنى وتعزيزه وجعل ليلة القدر ظرفًا لإنزال القرآن وأسهم أيضًا في بيان فضلها وشأنها على القول الثاني بأن (في) ليست ظرفًا.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٣٨.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٦٨.

(٥) سورة يوسف: الآية ٣٢.

(٦) راجع: الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدرالدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المصري صـ٢٥٠، صـ٢٥٢، ٢٥٣ – ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

(٧) راجع: لسان العرب لابن منظور جـ٩ /صـ٢٢٩ حرف الفاء فصل الظاء المعجمة.

(٨) راجع: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل: جـ٢٠/صـ٤٢٦.

٢ – الاستغراق الشامل (القدر) في حرف (أل) في (القدر):

و(أل) التي تفيد العهدية: هي التي عهد مصحوبها، بتقدم ذكره. نحو: جاءني رجل فأكرمت الرجل، أو بحضوره حساً، كقولك لمن سدد سهماً: القرطاس، أو علماً، كقوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾[١].

والجنسية بخلافها: وهي قسمان: أحدهما حقيقي، وهي التي ترد لشمول أفراد الجنس. نحو: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ﴾[٢]. والآخر مجازي، وهي التي ترد لشمول خصائص الجنس، على سبيل المبالغة. نحو: أنت الرجل علماً، أي: الكامل في هذه الصفة. ويقال لها: التي للكمال.

وأما التي لتعريف الحقيقة، ويقال لها: لتعريف الماهية، فنحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾[٣].

واختلف في هذا القسم. فقيل: هو راجع إلى العهدية. وقيل: راجع إلى الجنسية. وقيل: قسم برأسه[٤].

والتعريف في القدر تعريف الجنس، ولم يقل: في ليلة قدر، بالتنكير لأنه قصد جعل هذا المركب بمنزلة العلم لتلك الليلة كالعلم بالغلبة، لأن تعريف المضاف إليه باللام مع تعريف المضاف بالإضافة أو غل في جعل ذلك المركب لقبًا لاجتماع تعريفين فيه[٥].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٢) سورة العصر: الآية ٢.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

(٤) راجع: الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدالدين حسن بن قاسم بن عبدالله المالكي صـ١٩٤.

(٥) راجع: التحرير والتنوير جـ٣٠/صـ٤٥٧.

ومن ثم قد أسهم الإستغراق الشامل في (أل) التي في (القدر) في ترقية المعنى التفسيري إلى منتهاه.

٣ – حرف (حتى):

وبيانه في موضعه من السورة الكريمة

الواو– ما – من– الباء– عند من عدهم من حروف المعاني وبيانهم في موضعهم من السورة الكريمة.

٦ـ التنكير لقوله ﴿ لَيْلَةٍ ﴾ والإضافة ﴿ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ وتعريف «القدر»:

الفرق بين القدر والقضاء في معجم الفروق اللغوية[١]:

أن القدر هو وجود الافعال على مقدار الحاجة إليها والكفاية لما فعلت من أجله ويجوز أن يكون القدر هو الوجه الذي أردت إيقاع المراد عليه، والمقدر الموجد له على ذلك الوجه، وقيل أصل القدر هو وجود الفعل على مقدار ما أراده الفاعل، وحقيقة ذلك في أفعال الله تعالى وجودها علي مقدار المصلحة، والقضاء هو فصل الامر على التمام، قال تعالي: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[٢].

وقال الراغب: القضاء من الله أخص من القدر: لان القضاء: الفصل، والقدر: هو التقدير.

وذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المقدر للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل.

---

(١) راجع: معجم الفروق اللغوية، الفروق اللغوية بترتيب وزيادة لأبي هلال العسكري صـ٤٢٢.

(٢) سورة الحجر: الآية ٢١.

والفرق بين التقدير والقدر: أن التقدير يستعمل في أفعال الله تعالى وأفعال العباد، ولا يستعمل القدر إلا في أفعال الله (ﷻ) وقد يكون التقدير حسنا وقبيحا كتقدير المنجم موت زيد وإفتقاره وإستغناءه، ولا يكون القدر إلا حسنا(١).

والقدر مصدر قدرت أقدر قدرا، والمراد به ما يمضيه الله من الأمور، قال: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(٢) والقدر، والقدر واحد إلا أنه بالتسكين مصدر وبالفتح اسم، قال الواحدي: القدر في اللغة بمعنى التقدير، وهو جعل الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان.

وليلة القدر: اسم جعله الله لليلة التي ابتدئ فيها نزول القرآن. ويظهر أن أول تسميتها بهذا الاسم كان في هذه الآية ولم تكن معروفة عند المسلمين وبذلك يكون ذكرها بهذا الاسم تشويقا لمعرفتها ولذلك عقب بقوله: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾(٣).

والقدر الذي عرفت الليلة بالإضافة إليه هو بمعنى الشرف والفضل كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾(٤)، أي ليلة القدر والشرف عند الله تعالى مما أعطاها من البركة فتلك ليلة جعل الله لها شرفا فجعلها مظهرا لما سبق به علمه فجعلها مبدأ الوحي إلى النبي (ﷺ).

والتعريف في القدر تعريف الجنس كما سبق. ولم يقل: في ليلة قدر، بالتنكير لأنه قصد جعل هذا المركب بمنزلة العلم لتلك الليلة كالعلم بالغلبة، لأن تعريف

---

(١) راجع: معجم الفروق اللغوية، الفروق اللغوية بترتيب وزيادة لأبي هلال العسكري صـ٤٢٢، ٤٢٣.

(٢) سورة القمر: الآية ٤٩.

(٣) سورة القدر: الآية ٢.

(٤) سورة الدخان: الآية ٣.

المضاف إليه باللام مع تعريف المضاف بالإضافة أوغل في جعل ذلك المركب لقبا لاجتماع تعريفين فيه كما سبق.

فتنكير "ليلة" وإضافتها إلى "القدر" وتعريف القدر قد ارتقى بالمعنى التفسير إلى منتهاه من جعل هذا المركب بمنزلة العلم لتلك الليلة ولقبًا لاجتماع تعريفين فيه.

وقد ثبت أن ابتداء نزول القرآن كان في شهر رمضان قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[1]. ولا شك أن المسلمين كانوا يعلمون ذلك إذ كان نزول هذه السورة قبل نزول سورة ﴿ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[2].

٧ ـ أسلوب الاستفهام ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ﴾ (الواو ـ ما ـ الفعل أدري ـ اسناده الي ضمير المخاطب):

والفرق بين الدراية والعلم في معجم الفروق اللغوية[3]: أن الدراية فيما قال أبوبكر الزبيري: بمعنى الفهم، قال: وهو لنفي السهو عما يرد على الانسان، فيدريه أي: يفهمه.

والعلم، والدراية سواء ؛لأن الدراية علم يشتمل على المعلوم من جميع وجوهه، وذلك أن الفعالة للاشتمال، مثل العصابة، والعمامة ، ولذلك جاء أكثر أسماء الصناعات على فعالة، نحو الخياطة، فالدراية تفيد ما لا يفيده العلم من هذا الوجه، والفعالة أيضا تكون للاستيلاء، مثل الخلافة والإمارة، فيجوز أن تكون بمعنى الاستيلاء فتفارق العلم من هذه الجهة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٢) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠/صـ٤٥٧.

(٣) راجع: معجم الفروق اللغوية بترتيب وزيادة لأبي هلال العسكري: صـ٢٣٠، ٢٣١.

فقوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ دلالة على أن علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق، لا يدريها ولا يدريها إلا علام الغيوب(١).

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ هذا الاستفهام فيه تفخيم لشأنها حتى كأنها خارجة عن دراية الخلق لا يدريها إلَا الله سبحانه. قال سفيان: كل ما في القرآن من قوله: وما أدراك فقد أدراه، وكل ما فيه: وما يدريك فلم يدره ثم قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ أي: وما أشعرك يا محمد أي شيء ليلة القدر، على التعظيم لها.

أي: وما أدراك ما ليلة القدر يعنى: ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها، ثم بين ذلك بأنها خير من ألف شهر(٢).

فقوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ تنويه بطريق الإبهام المراد به أن إدراك كنهها ليس بالسهل لما ينطوي عليه من الفضائل الجمة.

وكلمة (ما أدراك ما كذا) كلمة تقال في تفخيم الشيء وتعظيمه، والمعنى: أي شيء يعرفك ما هي ليلة القدر، أي يعسر على شيء أن يعرفك مقدارها، ومنها قوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾(٣) والواو واو الحال(٤).

---

(١) راجع: إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ج٩ صـ ١٨٢.

(٢) راجع: الكشاف للزمخشري: جـ٤/٧٨، ومفاتيح الغيب للرازي: جـ٣٢ صـ٢٣١ و فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبدالله اليمني الشوكاني: جـ٥/صـ٥٧٥ – ط: دار ابن كثير – دار الكلم الطيب – دمشق – بيروت.

(٣) سورة الانفطار: الآية ١٧.

(٤) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠/٤٥٨.

فالواو تَكون للْحَال بِمَنْزِلَة إِذْ فتكون من حروف المعاني.(١)

فمضمون ذلكم السؤال هو علامة على ترقي المعنى التفسيري من حيث دلالته على تفخيم شأن هذه الليلة حتى كأنها خارجة عن دراية الخلق لا يدريها إلا الله فأسهم هذا الإنشاء الطلبي في الترقي للمعنى التفسير للآية كما أسهم إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب به وهو النبي (ﷺ) إلى ترقية المعنى التفسيري للآية.

٨ـ إعادة اسم ليلة القدر ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ والتكرير الثالث لها في قوله: ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ أي الإظهار في موضع الإضمار:

وأعيد اسم ليلة القدر الذي سبق قريبا في قوله: ﴿ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾(٢) على خلاف مقتضى الظاهر لأن مقتضى الظاهر الإضمار، فقصد الاهتمام بتعيينها، فحصل تعظيم ليلة القدر صريحا، وحصلت كناية عن تعظيم ما أنزل فيها وأن الله اختار إنزاله فيها ليتطابق الشرفان(٣).

ففي إظهار ﴿ لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ في الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى(٤).

والتكرير الثالث لليلة القدر فقد تكرر هذا اللفظ ثلاث مرات، والمرات الثلاث

---

(١) راجع: حروف المعاني والصفات عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: ٣٣٧هـ) ص: ٣٦ ط: مؤسسة الرسالة – بيروت ط: الأولى ١٩٨٤م وراجع معاني حروف المعاني عند ابن هشام والرماني بحث مقارن للدكتور عباس الترجمان: صـ ٧٢.

(٢) سورة القدر: الآية ١.

(٣) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠/٤٥٨.

(٤) إرشاد العقل السليم لأبي السعود: جـ٩ صـ١٨٣.

ينتهي عندها التكرير غالبًا كقوله تعالى[1]: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[2].

ولأن هذه الليلة ﴿ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ نزل فيها كتاب ذو قدر، على لسان ملك ذي قدر، على أمة لها قدر، ولعل الله تعالى إنما ذكر لفظة القدر في هذه السورة ثلاث مرات لهذا السبب[3] وأظهرت باسمها ولم يلتفت بضميرها العائد إليها لأن المقام اقتضى ذلك، فالمقام مقام اهتمام وتفخيم وتعظيم لليلة القدر وقد أسهم هذا التكرار ﴿ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ باسمها في الترقي في المعنى التفسيري للآية الكريمة.

سبب إخفائها:

ومن الحكمة في إخفاء هذه الليلة وجوهًا أحدها: أنه تعالى أخفاها، كما أخفى سائر الأشياء، فإنه أخفى رضاه في الطاعات، حتى يرغبوا في الكل، وأخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عن الكل، وأخفى وليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل، وأخفى الإجابة في الدعاء ليبالغوا في كل الدعوات، وأخفى الاسم الأعظم ليعظموا كل الأسماء، وأخفى في الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل، وأخفى قبول التوبة ليواظب المكلف على جميع أقسام التوبة، وأخفى وقت الموت ليخاف المكلف، فكذا أخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان وثانيها: كأنه تعالى يقول: لو عينت ليلة القدر، وأنا عالم بتجاسركم على المعصية، فربما دعتك الشهوة في تلك الليلة إلى المعصية، فوقعت في الذنب، فكانت معصيتك مع علمك أشد من معصيتك لا مع علمك، فلهذا السبب أخفيتها عليك.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٨.

(٢) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور جـ٣٠ صـ٤٥٩.

(٣) اللباب في علوم الكتاب جـ٢٠/صـ٤٢٧، ومفاتيح الغيب للرازي جـ٣٢/صـ٢٢٩.

فكأنه تعالى يقول: إذا علمت ليلة القدر فإن أطعت فيها اكتسبت ثواب ألف شهر، وإن عصيت فيها اكتسب عقاب ألف شهر، ودفع العقاب أولى من جلب الثواب وثالثها: أني أخفيت هذه الليلة حتى يجتهد المكلف في طلبها، فيكتسب ثواب الاجتهاد ورابعها: أن العبد إذا لم يتيقن ليلة القدر، فإنه يجتهد في الطاعة في جميع ليالي[١].

واختلفوا في أن هذه الليلة هل تستتبع اليوم؟ قال الشعبي: نعم يومها كليلتها، ولعل الوجه فيه أن ذكر الليالي يستتبع الأيام، ومنه إذا نذر اعتكاف ليلتين ألزمناه بيوميهما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً ﴾[٢] أي اليوم يخلف ليلته وبالضد[٣].

فليلة القدر: لم يطلع عليها بعينها الناس، وقد فسرت ليلة القدر بقوله[٤]: ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾[٥]. فحكمة إخفاء تعيينها إرادة أن يكرر المسلمون حسناتهم في ليال كثيرة توخيا لمصادفة ليلة

القدر كما أخفيت ساعة الإجابة يوم الجمعة[٦]، ويستحب كثرة الدعاء فيها لما أرشد به النبي (ﷺ) السيدة عائشة (رضي الله عنها) حين سألته وقالت: قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني[٧].

---

(١) راجع: مفاتيح الغيب للرازي: جـ٣٢/صـ٢٢٩.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٢.

(٣) راجع: مفاتيح الغيب للفخر الرازي جـ٣٢/صـ٢٣٠.

(٤) سورة الدخان: الآية ٤.

(٥) راجع: النكت والعون للماوردي: صـ٥٦٤.

(٦) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠/صـ٤٦٢.

(٧) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات باب ما جاء في عقد التسبيح باليد: ح٣٥١٣ جـ٥/صـ٥٣٤، وقال عنه هذا حديث حسنٌ صحيح.

تعيين ليلة القدر:

ولم يبين القرآن – في الآية التي نحن بصدد دراستها– أنها أية ليلة، ولا من أي شهر، ولكن قد قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[1] فتبين أن ليلة القدر الأولى هي من ليالي شهر رمضان لا محالة، فبنا أن نتطلب تعيين ليلة القدر الأولى التي ابتدئ إنزال القرآن فيها لنطلب تعيين ما يماثلها من ليالي رمضان في جميع السنين، وتعيين صفة المماثلة، والمماثلة تكون في صفات مختلفة فلا جائز أن تماثلها في اسم يومها نحو الثلاثاء أو الأربعاء، ولا في الفصل من شتاء أو صيف أو نحو ذلك مما ليس من الأحوال المعتبرة في الدين، فعلينا أن نتطلب جهة من جهات المماثلة لها في اعتبار الدين وما يرضي الله. وقد اختلف في تعيين المماثلة اختلافا كثيرا وأصح ما يعتمد في ذلك: أنها من ليالي شهر رمضان من كل سنة وأنها من ليالي الوتر كما دل عليه الحديث الصحيح: «تحروا ليلة القدر في الوتر في العشر الأواخر من رمضان»[2] والوتر: أفضل الأعداد عند الله كما دل عليه حديث: «إن الله وتر يحب الوتر»[3] وأنها ليست ليلة معينة مطردة في كل السنين بل هي متنقلة في الأعوام، وأنها في رمضان وإلى هذا ذهب مالك والشافعي وأحمد وأكثر أهل العلم قال ابن رشيد: وهو أصح الأقاويل وأولاها بالصواب. وعلى أنها متنقلة في الأعوام فأكثر أهل العلم على أنها لا تخرج عن شهر رمضان. والجمهور

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: كتاب فضل ليلة القدر/باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر ح٢٠١٧، ٢٠٢٠، جـ٤/صـ٣٠٥، ٣٠٦ – ط: دار الريان.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم ٧٣٤٠ حديث أبي هريرة (ﷺ) جـ٧/صـ١٥٨، وقال محققه أحمد محمد شاكر إسناده صحيح.

على أنها لا تخرج عن العشر الأواخر منه، وقال جماعة: لا تخرج عن العشر الأواسط، والعشر الأواخر[١].

وتأولوا ما ورد من الآثار ضبطها على إرادة الغالب أو إرادة عام بعينه.

ولم يرد في تعيينها شيء صريح يروى عن النبيء (ﷺ) لأن ما ورد في ذلك من الأخبار محتمل لأن يكون أراد به تعيينها في خصوص السنة التي أخبر عنها وذلك مبسوط في كتب السنة[٢].

وكما سبق اختلف في تعيين ليلة القدر مع اتفاقهم أنها في العشر الأواخر من رمضان، وأنها في وتر العشر أوجد، إلا ابن عمر فإنه زعم أنها في الشهر كله. فذهب الشافعي[٣] (رحمه الله) إلى أنها في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، وذهب أبيّ بن كعب[٤] وابن عباس إلى أنها في ليلة سبع وعشرين، وقال آخرون: هي في ليلة أربع وعشرين، وقال آخرون: إن الله تعالى ينقلها في كل عام من ليلة إلى أخرى ليكون الناس في جميع العشر مجتهدين، ولرؤيتها متوقعين[٥].

وقد حكي عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن من قوله ﴿هِيَ﴾ لأنها الكلمة السابقة والعشرون من السورة والله أعلم[٦].

---

(١) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠/صـ٤٦٢.

(٢) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠/صـ٤٦٣.

(٣) راجع: الجامع الصحيح سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة جـ٣ صـ١٥٠، كتاب الصوم، باب ما جاء في ليلة القدر، ح٧٩٢، وروايات أخرى تابعة له – ط: دار الحديث.

(٤) نفس المرجع والصفحة.

(٥) راجع: النكت والعيون للماوردي: جـ٦/صـ٣١٢.

(٦) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: جـ٤/صـ٥٣٦ ط: دار الريان.

هذه الليلة هل هي باقية؟ قال الخليل: من قال إن فضلها لنزول القرآن فيها يقول انقطعت وكانت مرة، والجمهور على أنها باقية، وفسرها عكرمة بليلة البراءة في قوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[1] والجمهور على أنها مختصة برمضان واحتجوا عليه بقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[2] وقال: إنا أنزلناه في ليلة القدر فوجب أن تكون ليلة القدر في رمضان لئلا يلزم التناقض، وعلى هذا القول اختلفوا في تعيينها – كما سبق– والذي عليه المعظم أنها ليلة السابع والعشرين، وذكروا فيه أمارات ضعيفة[3] لا داعي لذكرها.

وليلة القدر مستديرة في أوتار العشر الأواخر من رمضان هذا هو الصحيح المعول عليه وهي في الأوتار بحسب الكمال والنقصان في الشهر فينبغي لمرتقبها أن يرتقبها من ليلة عشرين في كل ليلة إلى آخر الشهر، لأن الأوتار مع كمال الشهر ليست الأوتار مع نقصانه[4].

٩ـ التعبير بصيغة أفعل التفضيل (خير):

فقد أسهم هذا التعبير بأن العمل فِي ليلة القدر خير من العمل فِي ألف شهر ليس فيها ليلة القدر. وليلة – القدر– فيما ذكر عن ابن عباس في كل شهر رمضان.

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ يقول الرازي[5]: وفيه مسائل:

---

(١) سورة الدخان: الآية ٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٣) راجع: مفاتيح الغيب للرازي: جـ٣٢/٢٣٠.

(٤) راجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية الأندلسي جـ٥ صـ٥٠٥ – ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٥) راجع: مفاتيح الغيب للفخر الرازي جـ٣٢ صـ٢٣١.

المسألة الأولى: في تفسير الآية وجوه أحدها: أن العبادة فيها خير من ألف شهر ليس فيها هذه الليلة، لأنه كالمستحيل أن يقال إنها: خير من ألف شهر فيها هذه الليلة، وإنما كان كذلك لما يزيد الله فيها من المنافع والأرزاق وأنواع الخير وثانيها: قال مالك بن أنس[1]: أري رسول الله (ﷺ) أعمار الناس، فاستقصر أعمار أمته، وخاف أن لا يبلغوا من الأعمال مثل ما بلغه سائر الأمم، فأعطاه الله ليلة القدر وهي خير من ألف شهر لسائر الأمم.

المسألة الثانية: هذه الآية فيها بشارة عظيمة وفيها تهديد عظيم، أما البشارة فهي أنه تعالى ذكر أن هذه الليلة خير، ولم يبين قدر الخيرية.

وسبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية بأنها خير من ألف شهر ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾، وفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[2].

فبين فضلها، وعظمها، وفضيلة الزمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل وفي تلك الليلة يقسم الخير الكثير الذي لا يوجد مثله في ألف شهر، جميع الدهر، لأن العرب تذكر الألف، لا تريد حقيقتها، وإنما تريد المبالغة في الكثرة، كقوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[3]، يعني جمع الدهر.

وقيل: إن العابد فيما مضى لا يسمى عابداً، حتى يعبد الله ألف شهر، فجعل الله تعالى لهذه الأمة أمة محمد (ﷺ) عبادة ليلة خير من ألف شهر كانوا يعبدونها[4].

---

(١) أورده ابن كثير في تفسيره جـ٤ صـ٥٣٤.

(٢) راجع: الكشاف للزمخشري جـ٤/٧٨٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٩٦.

(٤) راجع: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل: جـ٢٠/صـ٤٢٧.

فقوله: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ بيان أول لشيء من الإبهام الذي في قوله: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾[1] مثل البيان في قوله: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ ﴾[2] الآية. فلذلك فصلت الجملة لأنها استئناف بياني، أو لأنها كعطف البيان.

وتفضيلها بالخير على ألف شهر. إنما هو بتضعيف فضل ما يحصل فيها من الأعمال الصالحة واستجابة الدعاء ووفرة ثواب الصدقات والبركة للأمة فيها، لأن تفاضل الأيام لا يكون بمقادير أزمنتها ولا بما يحدث فيها من حر أو برد، أو مطر، ولا بطولها أو بقصرها، فإن تلك الأحوال غير معتد بها عند الله تعالى ولكن الله يعبأ بما يحصل من الصلاح للناس أفرادا وجماعات وما يعين على الحق والخير ونشر الدين. وقد قال في فضل الناس: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[3] فكذلك فضل الأزمان إنما يقاس بما يحصل فيها لأنها ظروف للأعمال وليست لها صفات ذاتية يمكن أن تتفاضل بها كتفاضل الناس ففضلها بما أعده الله لها من التفضيل كتفضيل ثلث الليل الأخير للقربات وعدد الألف يظهر أنه مستعمل في وفرة التكثير كقوله: «واحد كألف» وعليه جاء قوله تعالى: ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[4].

قال ابن عرفة وفي قوله: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾[5] المحسن المسمى

---

(١) سورة القدر: الآية ٢.

(٢) سورة البلد: الآيات ١٢: ١٤.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ٩٦.

(٥) سورة القدر: الآية ٣.

تشابه الأطراف[*] وهو إعادة لفظ القافية في الجملة التي تليها – في غير القرآن الكريم، وفي القرآن الكريم يبدأ الجملة الثانية بلفظة وقعت في أخر الجملة الأولى- كقوله تعالى: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾[١]. يريد بالقافية ما يشمل القرينة في الأسجاع والفواصل في الآي[٢].

١٠ـ التمييز في قوله ﴿مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٣]: وـ من ـ عند من عدها من حروف المعاني.

التمييز: هذا الأسلوب يقوم في مدلوله على التفضيل والتحديد ورفع الإبهام عن الشيء يقال: مزت الشيء عزلته وفرزته، ويقال: امتاز القوم وتميز بعضهم عن بعض[٤]، ويسمى أحياناً التبيين، أو التفسير لأن هذه مهمته، والتمييز عند النحاة نكرة منصوبة في الأغلب فضلة بمعنى من التي للبيان، وهو هنا تمييز المفرد، أو: الذات؛لأن مميزه لفظًا دالًا على العدد.[٥].

(*) تشابه الأطراف قسمان: معنوي ولفظي، فالمعنوي هو أن يختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى، واللفظي نوعان: الأول: أن ينظر المتكلم إلى لفظة وقعت في أخر الجملة الأولى فيبدأ بها الجملة الثانية كما هو معنى في الآية الكريمة. الثاني: أن يعيد الناظم لفظة القافية من كل بيت في أول البيت الذي يليه.

راجع: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد الهاشمي صـ٤٠٧، ٤٠٨ – ط: دار التوفيقية للتراث.

(١) سورة النور: الآية ٣٥.

(٢) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠ صـ٤٦١.

(٣) سورة القدر: الآية ٣.

(٤) راجع: لسان العرب لابن منظور مادة ميز جـ٥ صـ٤١٢، ٤١٣ بتصرف، فصل الميم حرف الزاي.

(٥) راجع: النحو الوافي لعباس حسن جـ٢/صـ٤١٧ – ط: دار المعارف.

وقد بانت هذه الوظيفة في التمييز وتجلت في قوله تعالى: ﴿شَهْرٍ﴾ في سياق قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

وإنما جعل تمييز عدد الكثرة هنا بالشهر للرعي على الفاصلة التي هي بحرف الراء[١].

ومن لابتداء الغاية فهو من حروف المعاني عند من عده منها إذهو حرف جار له معان متعددة.[٢]

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ فيه عدة أقاويل: - كما سبق - **أحدها:** ليلة القدر خير من عمر ألف شهر، قاله الربيع. **الثاني:** أن العمل في ليلة القدر خير من العمل في غيرها ألف شهر، قاله مجاهد. **الثالث:** أن ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، قاله قتادة[٣].

وذكر الرازي[٤] قوله لقائل أن يقول: «الأجر على قدر النصب والمشقة».

ومن المعلوم أن الطاعة في ألف شهر أشق من الطاعة في ليلة واحدة، فكيف يعقل استواؤهما؟ والجواب: من وجوه:

أحدها: أن الفعل الواحد قد يختلف حاله في الحسن والقبح بسبب اختلاف الوجوه المنضمة إليه، ألا ترى أن صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بكذا درجة، مع أن الصورة قد تنتقض فإن المسبوق سقطت عنه ركعة واحدة،

---

(١) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور جـ٣ صـ٤٥٩.

(٢) راجع: حروف المعاني والصفات لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: ٣٣٧هـ) ص٥٠: وراجع معاني حروف المعاني عند ابن هشام والرماني بحث مقارن للدكتور عباس الترجمان: صـ ١٢٢.

(٣) راجع: النكت والعيون للماوردي: جـ٦/صـ٣١٣.

(٤) راجع: مفاتيح الغيب للفخر الرازي: جـ٣٢/صـ٢٣٢ بتصرف.

وأيضا فأنت تقول لمن يرجم: إنه إنما يرجم لأنه زان فهو قول حسن، ولو قلته للنصراني فقذف يوجب التعزيز، ولو قلته للمحصن فهو يوجب الحد، فقد اختلفت الأحكام في هذه المواضع، مع أن الصورة واحدة في الكل، بل لو قلته في حق عائشة كان كفرا، ولذلك قال: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾[1] وذلك لأن هذا طعن في حق عائشة التي كانت رحلة في العلم، وطعن في صفوان مع أنه كان رجلا بدريا، وطعن في كافة المؤمنين لأنها أم المؤمنين، وللولد حق المطالبة بقذف الأم وإن كان كافرا، بل طعن في النبي الذي كان أشد خلق الله غيرة، بل طعن في حكمة الله إذ لا يجوز أن يتركه حتى يتزوج بامرأة زانية، ثم القائل بقوله: هذا زان، فقد ظن أن هذه اللفظة سهلة مع أنها أثقل من الجبال، فقد ثبت بهذا أن الأفعال تختلف آثارها في الثواب والعقاب لاختلاف وجوهها، فلا يبعد أن تكون الطاعة القليلة في الصورة مساوية في الثواب للطاعات الكثيرة والوجه الثاني: في الجواب أن مقصود الحكيم سبحانه أن يجر الخلق إلى الطاعات فتارة يجعل ثمن الطاعة ضعفين، فقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[2] ومرة عشرا، ومرة سبعمائة، وتارة بحسب الأزمنة، وتارة بحسب الأمكنة، والمقصود الأصلي من الكل جر المكلف إلى الطاعة وصرفه عن الاشتغال بالدنيا، فتارة يرجح البيت وزمزم على سائر البلاد، وتارة يفضل رمضان على سائر الشهور، وتارة يفضل الجمعة على سائر الأيام، وتارة يفضل ليلة القدر على سائر الليالي.

وبذلك نلحظ أن التمييز في جملة النظم الحكيم قد أسهم في الترقي في المعنى التفسيري إلى منتهاه.

---

(١) سورة النور: الآية ١٥.

(٢) سورة الشرح: الآيتان: ٥، ٦.

١١ ـ الفعل المضارع والحال في ترقية المعني ﴿ تَنَزَّلُ ﴾:

قيل الأصل في ﴿ تَنَزَّلُ ﴾: تَتَنَزَّلُ، فحذفت (التاء) الثانية استثقالاً لاجتماع التاءين، وكانت الثانية أولى بالحذف؛ لأن الأولى دخلت لتدل على الاستقبال، وقيل: تنزَّلُ الملائكة بكل أمر في ليلة القدر [إلى السماء الدنيا]. حتى يعلمه أهل الدنيا، وحتى يتصور تنزل أمر الله تعالى إليها، فتنصرف آمالهم إلى ما يكون منها [فيقوي رجاؤهم] بما يتجدد من تفضل الله تعالى فيها(١).

ومعنى تنزل تهبط من السموات إلى الأرض، وقرأ الجمهور تنزل بفتح التاء(٢) تَنَزَّل و قرأ البزي بتشديد التاء وصلا والباقون بالتخفيف(٣).

والتعبير بالفعل المضارع ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ مؤذن بأن هذا المنزل متكرر في المستقبل بعد نزول هذه السورة ونزول الملائكة إلى الأرض لأجل البركات التي تحفهم(٤)، ولفظ ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ يفيد المرة بعد المرة(٥).

قوله: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾، أي: تهبط من كل سماء إلى الأرض، ويؤمنون على دعاء النَّاس إلى وقت طلوع الفجر، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾. يجوز أن ترتفع ﴿ ٱلرُّوحُ ﴾ بالابتداء، والجار بعده الخبر وأن ترتفع بالفاعلية عطفاً على

(١) راجع: النكت والعيون للماوردي صـ٥٦٥.

(٢) راجع: فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق خان القنوجي جـ١٥/صـ٣٢٤.

(٣) راجع: غيث النفع في القراءات السبع لعلي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي (المتوفى: ١١١٨هـ): صـ ٦٤٢ ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٤) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠ صـ٤٦١، صـ٤٦٣.

(٥) راجع: مفاتيح الغيب للفخر الرازي جـ٣٢/صـ٢٣٣.

الملائكة، و ﴿ فِيهَا ﴾ متعلق بـ ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ وأن يكون معطوفاً على الفاعل، و﴿ فِيهَا ﴾ ظرف أو حال، والمراد بالروح جبريل (عليه السلام).

وقيل تنزل الملائكة بما يقضي الله (عز وجل) في ليلة القدر للسنة إلى أن تأتي ليلة القدر[١] وهو استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة[٢].

وبذلك نلحظ أن التعبير بالفعل المضارع ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ في جملة النظم الحكيم قد أسهم في الترقي في المعنى التفسيري للآية الكريمة.

١٢ـ الإسناد في جملة ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾:

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[٣] يقول ابن عاشور[٤]:

إذا ضم هذا البيان الثاني لما في قوله: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾[٥] من الإبهام التفخيمي حصل منهما ما يدل دلالة بينة على أن الله جعل مثل هذه الفضيلة لكل ليلة من ليالي الأعوام تقع في مثل الليلة من شهر نزول القرآن كرامة للقرآن، ولمن أنزل عليه، وللدين الذي نزل فيه، وللأمة التي تتبعه، ألا ترى أن معظم السورة كان لذكر فضائل ليلة القدر فما هو إلا للتحريض على تطلب العمل الصالح فيها، فإن كونها خيرا من ألف شهر أومأ إلى ذلك وبينته الأخبار الصحيحة.

---

(١) راجع: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل جـ٢٠/صـ٤٢٨.

(٢) راجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج جـ٥ صـ٣٤٧.

(٣) سورة القدر: الآية ٤، ٥.

(٤) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠/صـ٤٦١، صـ٤٦٢.

(٥) سورة القدر: الآية ٢.

وذكر نهايتها بطلوع الفجر لا أثر له في بيان فضلها فتعين أنه إدماج للتعريف بمنتهاها ليحرص الناس على كثرة العمل فيها قبل انتهائها.

لا جرم أن ليلة القدر التي ابتدئ فيها نزول القرآن قد انقضت قبل أن يشعر بها أحد عدا سيدنا محمد (ﷺ) إذ كان قد تحنث فيها، وأنزل عليه أول القرآن آخرها، وانقلب إلى أهله في صبيحتها، فلولا إرادة التعريف بفضل الليالي الموافقة لها في كل السنوات لاقتصر على بيان فضل تلك الليلة الأولى ولما كانت حاجة إلى تنزل الملائكة فيها، ولا إلى تعيين منتهاها.

وهذا تعليم للمسلمين أن يعظموا أيام فضلهم الديني وأيام نعم الله عليهم، وهو ممائل لما شرع الله لموسى (عليه السلام) من تفضيل بعض أيام السنين التي توافق أياما حصلت فيها نعم عظمى من الله على موسى (عليه السلام) قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾[1] فينبغي أن تعد ليلة القدر عيد نزول القرآن[2].

وقوله (عز وجل): ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾.

ويوضح الرازي[3] أن قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ يقتضي ظاهره نزول كل الملائكة، ثم الملائكة لهم كثرة عظيمة لا تحتمل كلهم الأرض، فلهذا السبب اختلفوا فقال بعضهم: إنها تنزل بأسرها إلى السماء الدنيا، فإن قيل الإشكال بعد باق لأن السماء مملوءة بحيث لا يوجد فيها موضع إهاب إلا وفيه ملك، فكيف تسع الجميع سماء واحدة؟ قلنا: يقضى بعموم الكتاب على خبر الواحد، كيف والمروي أنهم ينزلون فوجا فوجا فمن نازل وصاعد كأهل الحج فإنهم على كثرتهم يدخلون الكعبة بالكلية لكن الناس بين داخل وخارج، ولهذا السبب مدت إلى غاية طلوع الفجر فلذلك ذكر بلفظ: تنزل الذي يفيد المرة بعد المرة.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٥.

(٢) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور جـ٣٠/صـ٤٦٢.

(٣) راجع: مفاتيح الغيب للفخر الرازي: جـ٣٢/صـ٢٣٣، ٢٣٤.

والقول الثاني: وهو اختيار الأكثرين أنهم ينزلون إلى الأرض وهو الأوجه، لأن الغرض هو الترغيب في إحياء هذه الليلة، ولأنه دلت الأحاديث على أن الملائكة ينزلون في سائر الأيام إلى مجالس الذكر والدين، فلأن يحصل ذلك في هذه الليلة مع علو شأنها أولى، ولأن النزول المطلق لا يفيد إلا النزول من السماء إلى الأرض، ثم اختلف من قال: ينزلون إلى الأرض على وجوه: أحدها: قال بعضهم: ينزلون ليروا عبادة البشر وجدهم واجتهادهم في الطاعة **وثانيها:** أن الملائكة قالوا: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾[1] فهذا يدل على أنهم كانوا مأمورين بذلك النزولى فلا يدل على غاية المحبة.

وأما هذه الآية وهو قوله: بإذن ربهم فإنها تدل على أنهم استأذنوا أولا فأذنوا، وذلك يدل على غاية المحبة، لأنهم كانوا يرغبون إلينا ويتمنون لقاءنا لكن كانوا ينتظرون الإذن، فإن قيل قوله: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ ﴾[2] ينافي قوله: تنزل الملائكة قلنا نصرف الحالتين إلى زمانين مختلفين **وثالثها:** أنه تعالى وعد في الآخرة أن الملائكة: ﴿ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴾[3] فههنا في الدنيا إن اشتغلت بعبادتي نزلت الملائكة عليك حتى يدخلوا عليك للتسلم والزيارة.

ورابعها: أن الله تعالى جعل فضيلة هذه الليلة في الاشتغال بطاعته في الأرض فهم ينزلون إلى الأرض لتصير طاعاتهم أكثر ثوابا، كما أن الرجل يذهب إلى مكة لتصير طاعته هناك أكثر ثوابا، وكل ذلك ترغيب للإنسان في الطاعة **وخامسها:** أن الإنسان يأتي بالطاعات والخيرات عند حضور الأكابر من العلماء والزهاد أحسن مما يكون في الخلوة، فالله تعالى أنزل الملائكة

---

(١) سورة مريم: الآية ٦٤.

(٢) سورة الصافات: الآية ١٦٥.

(٣) سورة الرعد: الآية ٢٣، ٢٤.

المقربين حتى أن المكلف يعلم أنه إنما يأتي بالطاعات في حضور أولئك العلماء العباد الزهاد فيكون أتم وعن النقصان أبعد وسادسها: أن من الناس من خص لفظ الملائكة ببعض فرق الملائكة، فكلما كان الجمع أعظم، كان نزول الرحمة هناك أكثر، ولذلك فإن أعظم الجموع في موقف الحج، لا جرم كان نزول الرحمة هناك أكثر، فكذا في ليلة القدر يحصل مجمع الملائكة المقربين، فلا جرم كان نزول الرحمة أكثر.

فإسناد التنزل للملائكة حقق المعنى وعززه، ورقاه، وجعل الأنظار تتجه إليه والعقول تفكر في مآلاته ومراميه فارتقى المعنى التفسيري للآية الكريمة.

١٣ـ التخصيص بعد التعميم في قوله ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾: وحرف الواو عند من عده من حروف المعاني

والروح: جبريل (عليه السلام)، ملك عظيم تقوم الملائكة يوم القيامة صفاً، ويقوم وحده صفاً. وفي (الروح) ها هنا أربعة أقاويل: **أحدها:** جبريل (عليه السلام)، قاله سعيد بن جبير[١]. **الثاني:** حفظة الملائكة، قاله ابن أبي نجيح. **الثالث:** أنهم أشرف الملائكة وأقربهم من الله، قاله مقاتل. **الرابع:** أنهم جند من الله من غير الملائكة، رواه مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً.

ويحتمل إن لم يثبت فيه نص قولاً خامساً: أن الروح والرحمة تنزل بها الملائكة على أهلها، دليله قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾[٢] أي بالرحمة[٣].

---

(١) راجع: النكت في القرآن الكريم صـ٥٦٥.

(٢) سورة النحل: الآية ٢.

(٣) راجع: النكت والعيون للماوردي: جـ٦/صـ٣١٤.

والروح هو جبريل عند جمهور المفسرين أي ومعهم جبريل، ووجه ذكره بعد دخوله في الملائكة التعظيم له والتشريف لشأنه، وقيل الروح صنف من الملائكة هم أشرافهم، وقيل هم جند من جنود الله من غير الملائكة(١).

والأصح أن الروح هاهنا جبريل وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه كأنه تعالى يقول الملائكة في كفة والروح في كفة.(٢) والواو هنا من حروف المعاني وهي لعطف الخاص علي العام عند من عدها من حروف المعاني(٣).

ومعنى بإذن ربهم أن هذا التنزل كرامة أكرم الله بها المسلمين بأن أنزل لهم في تلك الليلة جماعات من ملائكته وفيهم أشرفهم وكان نزول جبريل في تلك الليلة ليعود عليها من الفضل مثل الذي حصل في مماثلتها الأولى ليلة نزوله بالوحي في غار حراء.

وفي هذا أصل لإقامة المواكب لإحياء ذكرى أيام مجد الإسلام وفضله وأن من كان له عمل في أصل تلك الذكرى ينبغي أن لا يخلو عنه موكب البهجة بتذكارها(٤).

﴿ نَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ قال أبوهريرة: الملائكة في ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الحصى(٥).

---

(١) راجع: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي جـ٢٠/صـ٤٢٨، وفتح البيان في مقاصد القرآن لصديق خان القنوجي: جـ١٥/صـ٣٢٤.

(٢) راجع: مفاتيح الغيب للرازي: جـ٣٢/صـ٢٣٤.

(٣) راجع: : حروف المعاني والصفات لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم: ص٣٦: وراجع معاني حروف المعاني عند ابن هشام والرماني بحث مقارن للدكتور عباس الترجمان: صـ ٧٠.

(٤) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠/صـ٤٦٣.

(٥) راجع: النكت والعيون للماوردي جـ٦ /صـ٣١٣.

﴿ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ يجوز أن نرفع ﴿ ٱلرُّوحُ ﴾ بالابتداء، والجار بعده الخبر، وأن ترفع بالفاعلية عطفًا على ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ و﴿ فِيهَا ﴾ متعلق بـ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ وأن يكون معطوفًا على الفاعل، وفيها ظرف أو حال(١).

وبذلك نلحظ أن التخصيص بعد التعميم قد ارتقى بالمعنى التفسير إلى منتهاه في الآية الكريمة.

١٤ ـ ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾: و–الباء – من–عند من عدهمامن حروف المعاني. وقوله: ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ متعلق بـ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ إما* بمعنى السببية، أي يتنزلون بسبب إذن ربهم لهم في النزول فالإذن بمعنى المصدر، وإما بمعنى المصاحبة أي مصاحبين لما أذن به ربهم، فالإذن بمعنى المأذون به من إطلاق المصدر على المفعول(٢).

فالباء حرف جر وهي من حروف المعاني بمعني السببية والمصاحبة عند من عدها من حروف المعاني(٣).

والتعبير بـ﴿ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ أي بكل أمر ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ يعني بأمر ربهم. ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ يعني يُقضى في تلك الليلة من رزق وأجل إلى مثلها من العام القابل(٤).

---

(١) راجع: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي جـ٢٠/صـ٤٢٨.

* الباء من حروف المعاني عند ابن هشام والروماني

(٢) راجع: النكت والعيون للماوردي جـ٦/صـ٣١٣.

(٣) راجع: : حروف المعاني والصفات لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: ٣٣٧هـ) ص٤٧: وراجع معاني حروف المعاني عند ابن هشام والرماني بحث مقارن للدكتور عباس الترجمان: صـ ٥٠.

(٤) راجع: النكت والعيون للماوردي: جـ٦/صـ٣١٤.

فمن حرف جر وهي من حروف المعاني بمعني الباء عند من عدها من حروف المعاني[١].

وقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ موضحة للعلة التي صارت بها خيراً من ألف شهر، وهذا هو الوجه الثاني، والمعنى متلبسين بإذن ربهم والإذن الأمر ﴿مِّن﴾ أجل ﴿كُلِّ أَمْرٍ﴾ من الأمور التي قضى الله بها في تلك السنة، وقيل أن من بمعنى اللام أي لكل أمر، وقيل هي بمعنى الباء أي بكل أمر، فهي للتعدية، قاله أبوحاتم، قرأ الجمهور ﴿أَمْرٍ﴾ وهو واحد الأمور، وقد تم الكلام عند قوله ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ ثم ابتدأ بفضلها الثالث فلذا قال ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[٢].

أما قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ يقول الرازي[٣]: وهذه الآية دالة على عصمة الملائكة ونظيرها.

قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾[٤] وقوله: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾[٥] وفيها دقيقة وهي أنه تعالى لم يقل: مأذونين بل قال: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ وهو إشارة إلى أنهم لا يتصرفون تصرفا ما إلا بإذنه.

---

(١) راجع: : حروف المعاني والصفات لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم: ص٥٠: وراجع معاني حروف المعاني عند ابن هشام والرماني بحث مقارن للدكتور عباس الترجمان: صـ ١٢٣.

(٢) راجع: فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق خان القنوجي: جـ١٥/صـ٣٢٥، ٣٢٤.

(٣) راجع: مفاتيح الغيب للرازي: جـ٣٢/صـ٢٣٤، ٢٣٥.

(٤) سورة مريم: الآية ٦٤.

(٥) سورة الأنبياء: الآية: ٢٧.

وقوله: ﴿ رَبِّهِم ﴾ يفيد تعظيما للملائكة وتحقيرا للعصاة، كأنه تعالى قال: كانوا لي فكنت لهم، ونظيره في حقنا: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[1] وقال لمحمد (ﷺ): ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾[2].

أما قوله تعالى: ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ فمعناه تنزل الملائكة والروح فيها من أجل كل أمر، والمعنى أن كل واحد منهم إنما نزل لمهم آخر، ثم ذكروا فيه وجوها أحدها: أنهم كانوا في أشغال كثيرة فبعضهم للركوع وبعضهم للسجود، وبعضهم بالدعاء، وكذا القول في التفكر والتعليم، وإبلاغ الوحي، وبعضهم لإدراك فضيلة الليلة أو ليسلموا على المؤمنين وثانيها: وهو قول الأكثرين، من أجل كل أمر قدر في تلك السنة من خير أو شر، وفيه إشارة إلى أن نزولهم إنما كان عبادة، فكأنهم قالوا: ما نزلنا إلى الأرض لهوى أنفسنا، لكن لأجل كل أمر فيه مصلحة المكلفين، وعم لفظ الأمر ليعم خير الدنيا والآخرة بيانا منه أنهم ينزلون بما هو صلاح المكلف في دينه ودنياه[3].

و﴿ مِّن ﴾ في قوله ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ عند ابن عاشور[4] يجوز أن تكون بيانية تبين الإذن من قوله: ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾، أي بإذن ربهم الذي هو في كل أمر.

ويجوز أن تكون بمعنى الباء، أي تتنزل بكل أمر مثل ما في قوله تعالى: ﴿ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[5] أي بأمر الله، وهذا إذا جعلت باء ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ سببية، ويجوز أن تكون للتعليل، أي من أجل كل أمر أراد الله قضاءه بتسخيرهم.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٣) راجع: مفاتيح الغيب للرازي: جـ٣٢/صـ٢٣٥.

(٤) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠/صـ٤٦٤.

(٥) سورة الرعد: الآية ١١.

وكل مستعملة في معنى الكثرة للأهمية، أي في أمور كثيرة عظيمة كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ ﴾[1] وقوله: ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾[2] وقوله: ﴿ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[3].

وتنوين أمر للتعظيم، أي بأنواع الثواب على الأعمال في تلك الليلة. وهذا الأمر غير الأمر الذي في قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[4] مع أن أمرا من عندنا في سورة الدخان متحدة مع اختلاف شؤونها، فإن لها شؤونا عديدة. ويجوز أن يكون هو الأمر المذكور هنا فيكون هنا مطلقا وفي آية الدخان مقيدا.

واعلم أن موقع قوله: تنزل الملائكة والروح فيها إلى قوله: من كل أمر، من جملة: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾[5] موقع الاستئناف البياني أو موقع بدل الاشتمال فلمراعاة هذا الموقع فصلت الجملة عن التي قبلها ولم تعطف عليها مع أنهما مشتركتان في كون كل واحدة منهما تفيد بيانا لجملة: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾[6]، فأوثرت مراعاة موقعها الاستئنافي أو البدلي على مراعاة اشتراكهما في كونها بيانا لجملة: وما أدراك ما ليلة القدر لأن هذا البيان لا يفوت السامع عند إيرادها في صورة البيان أو البدل بخلاف ما لو عطفت على التي قبلها بالواو لفوات الإشارة إلى أن تنزل الملائكة فيها من أحوال خيريتها.

---

(١) سورة يونس: الآية ٩٧.

(٢) سورة الحج: الآية ٢٧.

(٣) سورة الأنفال: الآية ١٢.

(٤) سورة الدخان: الآية ٤.

(٥) سورة القدر: الآية ٣.

(٦) سورة القدر: الآية ٢.

ولا شك أن التعبير بقوله تعالى: ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ ساهم في الترقي في المعنى التفسيري للآية الكريمة.

١٥ ـ التقديم والتأخير ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ ﴾ وجملة: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ بيان لمضمون من كل أمر وهو كالاحتراس(*) لأن تنزل الملائكة يكون للخير ويكون للشر لعقاب مكذبي الرسل قال تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾(١) وقال: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾(٢) وجمع بين إنزالهم للخير والشر في قوله: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾(٣) الآية، فأخبر هنا أن تنزل الملائكة ليلة القدر لتنفيذ أمر الخير للمسلمين الذين صاموا رمضان وقاموا ليلة القدر، فهذه بشارة.

والسلام: مصدر أو اسم مصدر معناه السلامة قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾(٤). ويطلق السلام على التحية والمدحة، وفسر السلام بالخير، بالخير، والمعنيان حاصلان في هذه الآية، فالسلامة تشمل كل خير لأن الخير سلامة من الشر ومن الأذى، فيشمل السلام الغفران وإجزال الثواب واستجابة الدعاء بخير الدنيا والآخرة. والسلام بمعنى التحية والقول الحسن مراد به ثناء

(*) الاحتراس هو: أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه دخل فيفطن له، فيأتي بما يخلصه من ذلك. راجع: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر لأبي الإصبع البغدادي جـ١/٣٤٥.

(١) سورة الحجر: الآية ٨.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٢.

(٣) سورة الأنفال: الآية ١٢.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٦٩.

الملائكة على أهل ليلة القدر كدأبهم مع أهل الجنة فيما حكاه قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[1].

وتنكير سلام للتعظيم. وأخبر عن الليلة بأنها سلام للمبالغة لأنه إخبار بالمصدر.

وتقديم المسند وهو سلام على المسند إليه لإفادة الاختصاص، أي ما هي إلا سلام. والقصر ادعائي لعدم الاعتداد بما يحصل فيها لغير الصائمين القائمين، ثم يجوز أن يكون سلام هي مرادا به الإخبار فقط، ويجوز أن يراد بالمصدر الأمر، والتقدير: سلموا سلاما، فالمصدر بدل من الفعل وعدل عن نصبه إلى الرفع ليفيد التمكن مثل قوله تعالى: ﴿ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾[2]. والمعنى: اجعلوها سلاما بينكم، أي لا نزاع ولا خصام.

و﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ غاية لما قبله من قوله: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ إلى ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ ﴾[3].

و﴿ سَلَٰمٌ هِىَ ﴾[4] قد يقدم لفظ في موضع ويؤخر في آخر ونكتة ذلك إما لكون السياق في كل موضع يقتضي ما وقع فيه وإما لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه كما في قوله: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾[5] الآيات وإما لقصد التفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب كما في قوله: ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾[6] وقوله: ﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾[7] وقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا

(١) سورة الرعد: الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٢٥.

(٣) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠/صـ٤٦٥.

(٤) راجع: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: جـ٣/صـ٤٧.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٠٦.

(٦) سورة البقرة: الآية ٥٨.

(٧) سورة الأعراف: الآية ١٦١.

﴿ ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[1] وقال: في الأنعام[2] ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾.

﴿ سَلَٰمٌ هِىَ ﴾ وقيل (السلام) في ليلة القدر سلام الملائكة بعضهم على بعض، وقيل: نزولهم بالسلامة والخير والبركة، وقيل: سلام هي من الشر، وهو قول قتادة. يجوز في ﴿ هِىَ ﴾ وجهان:

أحدهما: أن تكون هي مبتدأة و ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ الخبر.

والثاني: أن يكون ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ و﴿ هِىَ ﴾ الخبر[3].

﴿ سَلَٰمٌ ﴾ أي هي خير وبرك. ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ فيه عدة تأويلات: أحدها: أن ليلة القدر هي ليلة سالمة من كل شر، لا يحدث فيها حدث ولا يرسل فيها شيطان، قاله مجاهد. الثاني: أن ليلة القدر هي سلام وخير وبركة، قاله قتادة[4]. قتادة[4].

الثالث: ليلة القدر، إلى طلوع الفجر سلام أي تسلم الملائكة على المطيعين، وذلك لأن الملائكة ينزلون فوجا فوجا من ابتداء الليل إلى طلوع الفجر فترادف النزول لكثرة السلام الثالث: وصفت الليلة بأنها سلام، ثم يجب أن لا يستحقر هذا السلام فيه دقيقة، وهي إظهار فضل هذه الأمة، فإن هناك الملائكة، نزلوا على الخليل، وهاهنا نزلوا على أمة محمد (ﷺ).

الرابع: سلام: أي الليلة سالمة عن الرياح والأذى والصواعق إلى ما شابه ذلك.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩١.

(٣) راجع: النكت في القرآن الكريم صـ٥٦٥، ٥٦٦.

(٤) راجع: النكت والعيون للماوردي: جـ٦/صـ٣١٤.

الخامس: أنها من أولها إلى مطلع الفجر سالمة في أن العبادة في كل واحد من أجزائها خير من ألف شهر ليست كسائر الليالي في أنه يستحب للفرض الثلث الأول وللعبادة النصف وللدعاء السحر بل هي متساوية الأوقات والأجزاء. **السادس:** سلام هي، أي جنة هي لأن من أسماء الجنة دار السلام أي الجنة المصوغة من السلامة[١].

ولا شك أن التقديم والتأخير في قوله ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ ﴾قد أسهم في ترقية المعنى التفسيري للآية الكريمة.

١٦ـ الغاية (حتى):

حرف (حتى) من حروف المعاني، وله عند البصريين ثلاثة أقسام: يكون حرف جر، وحرف عطف، وحرف ابتداء. وزاد الكوفيون قسماً رابعاً، وهو أن يكون حرف نصب، ينصب الفعل المضارع. وزاد بعض النحويين قسماً خامساً، وهو أن يكون بمعنى الفاء. ولا بد من بيان هذه الأقسام واحداً واحداً.

الأول: حتى الجارة. ومعناها انتهاء الغاية. ومذهب البصريين أنها جارة بنفسها. وقال الفراء: تخفض، لنيابتها عن إلى. وربما أظهروا إلى بعدها. قالوا: جاء الخبر حتى إلينا. جمعوا بينهما على تقدير إلغاء أحدهما. ومجرورها إما اسم صريح، نحو: ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[٢]، أو مصدر مؤول من أن والفعل المضارع، نحو: ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ ﴾[٣]، لأن التقدير: حتى أن يقول، هذا مذهب البصريين. وزاد ابن مالك، في أقسام مجرورها، أن يكون مصدراً مؤولا من أن وفعل ماض، نحو: ﴿ حَتَّىٰ عَفَوا۟ ﴾[٤].

---

(١) راجع: مفاتيح الغيب للفخر الرازي: جـ٣٢/صـ٢٣٦.

(٢) سورة يوسف: الآية ٣٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٩٥.

واختلف في المجرور بحتى هل يدخل فيما قبلها أو لا؟ فذهب المبرد، وابن السراج، وأبوعلي، وأكثر المتأخرين، إلى أنه داخل. وقال ابن مالك: حتى لانتهاء العمل بمجرورها، أو عنده. يعني أنه يحتمل أن يكون داخلاً فيما قلبها، أو غير داخل، فإذا انتهى الضرب به. ويجوز أن يكون غير مضروب، انتهى الضرب عنده(١).

وذكر أيضًا في الجنى الداني في حروف المعاني(٢): فإن قلت: ما الفرق بين حتى الجارة وحتى العاطفة؟ قلت: الفرق بينهما من أوجه:

الأول: أن العاطفة يدخل ما بعدها في حكم ما قبلها. وأما الجارة فقد يدخل وقد لا يدخل.

الثاني: أن العاطفة يلزم أن يكون ما بعدها غاية لما قبلها، في زيادة، أو نقص. وأما الجارة ففيها تفصيل؛ وهو أن مجرورها إن كان بعض ما قبله من مصرح به، وكان منتهى به، فهو كالمعطوف، في اعتبار الزيادة والنقص. وإن كان بعضاً لشيء لم يصرح به، نحو: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾(٣)، أو كان منتهى عنده، لم يعتبر فيه ذلك قد ظهر، بما ذكرته، أن الجارة أعم، لأن كل موضع جاز فيه العطف يجوز فيه الجر، ولا عكس، لأن الجر يكون في مواضع لا يجوز فيها العطف. منها أن يقترن بالكلام ما يدل على أن ما بعدها غير شريك لما قبلها. نحو: صمت الأيام حتى يوم الفطر. فهذا يجب فيه الجر. ومنها ألا

(١) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠ صـ٥٤٥.
(٢) المرجع السابق: صـ٥٤٩.
(٣) سورة يوسف: الآية ٣٥.

يكون قبلها ما يعطف عليه، نحو: ﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[١]، و﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[٢]. فيجب الجر أيضاً.

وحتي[٣]: بمعنى إلى، حيث قال تعالى: ﴿ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[٤] أي: إلى حين، وقال: ﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[٥] أيْ: إلى حين، وقال: ﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[٦].

و﴿ حَتَّىٰ ﴾ بمعنى (إلى) والتقدير: إلى مطلع الفجر ﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ قال وذلك من غروب الشمس إلى أن يطلع الفجر أي حتى وقت طلوعه.

و﴿ حَتَّىٰ ﴾ متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أي لمكثهم في محل تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجاً بعد فوج إلى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناءً على أن الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر.

واختير التعبير بـ﴿ حَتَّىٰ ﴾ دون (إلى) ليفهم أن لما بعدها حكم وما قبلها فيكون المطلع في حكم الليلة[٧].

وبالتالي قد أسهم هذا النظم القرآني في ترقية المعنى التفسيري للآية الكريمة.

---

(١) سورة القدر: الآية ٥.

(٢) سورة يوسف: الآية ٣٥.

(٣) راجع: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري صـ١٩٨ – ط: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة.

(٤) سورة الذاريات: الآية ٤٣.

(٥) سورة المؤمنون: الآية ٥٤.

(٦) سورة القدر: الآية ٥.

(٧) راجع: نظم الدرر للبقاعي: جـ٢٢/صـ١٨١.

١٧ ـ التعبير بـ﴿ مَطْلَعِ ﴾ وإضافته إلى ﴿ ٱلْفَجْرِ ﴾ في ﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾: ﴿ مَطْلَعِ ﴾ وقرأ الكسائي ﴿ مَطْلِعَ ﴾ بكسر اللام، وفتح الباقون.

فمن كسر جعله للوقت، وأكثر ما يأتي ما كان (فعل يفعل) نحو: المقتل، والمنظر، إلا أنه شذت أحرف فجاء الزمان والمكان فيها على (مفعل) وهي: المطلع، والمشرق، والمغرب، وحكى الفراء: طلعت الشمس مطلعا على المصدر، فعلى هذا تستوي القراءتان، وكأنه اجتزأ بالاسم عن المصدر، كما قالوا: أعطيته عطاء وأكرمته كرامة. لأن المطلع بالفتح هو: الطلوع، والمطلع: المشرق، والموضع الذي تطلع منه إلا أن العرب يقولون: طلعت الشمس مطلعا فيكسرون. وهم يريدون: المصدر، كما تقول: أكرمتك كرامة، فتجتزىء بالاسم من المصدر(١).

فقرأ الجمهور: مطلع بفتح اللام على أنه مصدر ميمي، أي طلوع الفجر، أي ظهوره. وقرأه الكسائي وخلف(٢) بكسر اللام على معنى زمان طلوع الفجر، فهما لغتان في المصدر، والفتح أكثر، وقيل بالفتح اسم مكان وبالكسر المصدر، وقيل العكس(٣).

---

(١) راجع: معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي الفراء: جـ٣/صـ٢٨٠ – دار المصريين للتأليف والترجمة – مصر.

(٢) راجع: الكنز في القراءات العشر لأبي محمد عبدالله بن عبدالمؤمن المباك الواسطي: جـ٢/صـ٧٣٠ – ط: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، وراجع: المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر ويليه موجز في ياءات الإضافة بالسور لعمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري سراج الدين الشافعي: جـ١ صـ٥٣٦ – ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) راجع: فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق خان القنوجي جـ١٥/٣٢٥.

والمقصود من الغاية عند ابن عاشور[١] إفادة أن جميع أحيان تلك الليلة معمورة بنزول الملائكة والسلامة، فالغاية هنا مؤكدة لمدلول ﴿لَيْلَةِ﴾[٢] لأن الليلة قد تطلق على بعض أجزائها كما في قول النبي (ﷺ): «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[٣]، أي من قام بعضها، فقد قال سعيد بن المسيب: من شهد العشاء من ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها. يريد شهدها في جماعة كما يقتضيه فعل شهد، فإن شهود الجماعة من أفضل الأعمال الصالحة<

وجيء بحرف حتى لإدخال الغاية لبيان أن ليلة القدر تمتد بعد مطلع الفجر بحيث إن صلاة الفجر تعتبر واقعة في تلك الليلة لئلا يتوهم أن نهايتها كنهاية الفطر بآخر جزء من الليل، وهذا توسعة من الله في امتداد الليلة إلى ما بعد طلوع الفجر.

ويستفاد من غاية تنزل الملائكة فيها، أن تلك غاية الليلة وغاية لما فيها من الأعمال الصالحة التابعة لكونها خيرا من ألف شهر، وغاية السلام فيها.

بقي في الكلام على هذه الليلة أمر مهم، وهو أنه على قول المعتبرين لاختلاف المطالع يلزم القول بتعددها في رمضان، وكونها وترا من لياليه، عند قوم، وشفعا عند آخرين، فلا يصح إطلاق القول بأحدهما، وكذا لا يصح إطلاق القول بأنها ليلة كذا كليلة السابع والعشرين، أو الحادي والعشرين، مثلا من الشهر على ذلك أيضا.

---

(١) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ٣٠/صـ٤٦٦.

(٢) سورة القدر: الآية ١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في فتح الباري بشرح صحيح البخاري: كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا بنية، ح١٩٠١، جـ٤/صـ١٣٨، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب الصوم باب ما جاء في فضل شهر رمضان ح٦٨٣، جـ٣ صـ٥٨ ط: دار الحديث.

بل لا يصح إطلاق القول بأن وقت التقدير، وتنزل الملائكة ليلة، فالليلة عند قوم نهار في الجهة المسامتة لأقدامهم، وهي قد تكون مسكونة ولو بواسطة سفينة تمر فيها، وربما يكون زمان الليل عند قوم بعضه ليلا، وبعضه نهارا، عند آخرين كأهل بعض العروض البعيدة عن خط الاستواء، بل قد تنقضي أشهر بليل ونهار على قوم، ولم ينقض يوم واحد في بعض العروض بل لا يصح أيضا إطلاق القول بأنها في رمضان، وأنها الليلة الأولى، أو الأخيرة منه إذ الشهر دخولا وخروجا مختلف بالنسبة إلى سكان البسيطة، وأجاب بعض بالتزام أن ما أطلق من القول فيها ليس على إطلاقه فيكون القول بوتريتها بالنسبة إلى قوم، وبشفعيتها بالنسبة إلى آخرين، وهكذا القول بأنها ليلة كذا من الشهر، وبالتزام أنها ليلة بالنسبة إلى قوم، نهار بالنسبة إلى آخرين، وإن التعبير بالليلة لرعاية مكان المنزل عليه القرآن (ﷺ)، وغالب المؤمنين به كأن ما هو سمت أقدامهم مما ليلهم نهاره لم يعمر بالمسلمين، بل لا يكاد يعمر بهم حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

ويرى الشيخ الألوسي أن هذا الأمر قوي وهو مما لا مجال للعقل فيه، ومثل ليلة القدر فيما ذكر وقت نزوله (ﷻ) إلى السماء الدنيا، من الليل، كما صحت به الأخبار، وكذا ساعة الإجابة من يوم الجمعة، إلى أمثال أخر، وربما يقال إنها لكل قوم ليلتهم، وإن اختلفت دخولا وخروجا بالنسبة إلى آفاقهم كسائر لياليهم، فكأن الليلة راكب يسير إلى جهة، فيصل إلى كل منزل في وقت، ويلتزم أن تنزل الملائكة حسب سيرها، ولا يبعد أن يتنزل عند كل قوم ما شاء الله تعالى منهم عند أول دخولها عندهم، ويعرجون عند مطلع فجرها عندهم أيضا، أو يبقى المتنزل منهم هناك إلى أن تنقضي الليلة في جميع المعمورة، فيعرجون معا عند انقضائها، ويلتزم القول بتعدد التقدير حسب السير أيضا، بأن يقدر الله تعالى في أي جزء، شاء سبحانه منها بالنسبة إلى من هي عندهم أمورا تتعلق

بهم، ومناط الفضل لكل قوم تحققها بالنسبة إليهم وقيامهم فيها، ومثل هذه الليلة فيما ذكر سائر أوقات العبادة كوقت الظهر والعصر وغيرهما، وهذا غاية ما يخطر بالبال فيما يتعلق بهذا الإشكال. ثم إن ليلة القدر عند السادة الصوفية ليلة يختص فيها السالك بتجل خاص يعرف به قدره ورتبته بالنسبة إلى محبوبه وهي وقت ابتداء وصول السالك إلى عين الجمع ومقام البالغين في المعرفة(١).

والمعنى العام للسورة الكريمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾.

الحديث في هذه السورة عن تلك الليلة الموعودة المشهودة، ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى. ليلة بدء نزول هذا القرآن على قلب سيدنا محمد (ﷺ) ليلة العظمة التي لا يحيط بها الإدراك البشري: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ؟ ﴾.. ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾.

والنصوص القرآنية التي تذكر هذا الحدث تفيض بالنور الهادئ، نور الله المشرق في قرآنه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾، ونور الملائكة، والروح وهم في غدوهم، ورواحهم، طوال الليلة، بين الأرض، والملأ الأعلى،: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾.. ونور الفجر الذي تعرضه النصوص متناسقا مع نور الوحي، ونور الملائكة، وروح السلام المرفرف على الوجود وعلى الأرواح السارية في هذا الوجود: ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾.

والليلة التي تتحدث عنها السورة الكريمة، هي الليلة المباركة، كثيرة الخيرات والبركات، التي جاء ذكرها في سورة الدخان: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ

(١) راجع: روح المعاني للألوسي جـ١٥ صـ ٤٢٢.

﴿ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1].. والمعروف أنها ليلة من ليالي رمضان، كما ورد في سورة البقرة: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[2].

أى التي: بدأ فيها نزول القرآن- الآيات البينات-، على قلب الرسول (ﷺ) ليبلغه إلى الناس،

و«ليلة القدر» هي: ليلة تقدير الأمور وقضائها والقدر بمعنى التقدير أو سميت بذلك لشرفها على سائر الليالي فهي ليلة التقدير والتدبير. والقيمة والمقام. وكلاهما يتفق مع ذلك الحدث الكوني العظيم. حدث القرآن والوحي والرسالة.. وليس أعظم منه ولا أقوم في أحداث هذا الوجود. وليس أدل منه كذلك على التقدير والتدبير في حياة العبيد، والليلة خير من ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر، والعدد لا يفيد التحديد. في مثل هذه المواضع من القرآن. إنما هو يفيد التكثير، وسبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية؛ ما يوجد فيها من تنزل الملائكة، والروح، وفصل كل أمر حكيم. والليلة من العظمة بحيث تفوق حقيقتها حدود الإدراك البشري: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾؟ أي لم تبلغ درايتك غاية فضلها، واستأنف بيان بعض فضلها فقال: إنها تتنزل فيها الملائكة- وخاصة جبريل المكلف بالوحي- يتنزلون فيها بإذن ربهم من كل أمر حكيم على النبي (ﷺ) فأول عهد النبي بشهود الملائكة وجبريل معهم كان في تلك الليلة التي تنزلت الملائكة من عالمها إلى عالم الأرض، نزلوا بالوحي على رسول الله. وهذه الليلة ليلة سلام وأمان ولا غرابة ففيها ابتدأ نزول القرآن مصدر الإسلام ومبدأ السلام، وتنزيل

(١) سورة الدخان: الآيات ٣ – ٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

الملائكة وجبريل (عليه السلام) خاصة، بإذن ربهم، ومعهم هذا القرآن- باعتبار جنسه الذي نزل في هذه الليلة- وانتشارهم فيما بين السماء والأرض في هذا المهرجان الكوني، الذي تصوره كلمات السورة تصويرا عجيبا..

فقد فرق فيها من كل أمر حكيم من أجل كل أمر قدر في تلك السنة وما هي إلا سلامة شاملة لكل خير، وغفران، وإجزال ثواب، واستجابة للدعاء ... حتي مطلع الفجر[1].

ما ترشد إليه آيات السورة الكريمة:

١- عظمة القرآن، وربانيته وذلك باسناد انزاله إلي الله (عز وجل).

٢- فضل ليلة القدر، وفضل العبادة فيها؛ خير من ألف شهر.

٣- بيان أن القرآن نزل في رمضان جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأنه ابتدئ نزوله على رسول الله (ﷺ) في رمضان أيضا.

٥- الحث علي تحين ليلة القدر للفوز بفضلها، وذلك في العشر الأواخر من شهر رمضان، والاكثار من الدعاء فيها، وفعل الطاعات.

٦- ليلة القدر في وتر العشر الأواخر كالواحدة والعشرين إلى التاسعة والعشرين للحديث الصحيح التمسوها في العشر الأواخر*.

٧ – الحث علي الإكثار من قراءة القرآن، وتدبره، وسماعه فيها لمعارضة جبريل الرسول (ﷺ) القرآن في رمضان مرتين.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) راجع مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي: جـ٣ صـ٦٦٥، ٦٦٦ – ط: دار الكلم الطيب – بيروت، والتفسير الواضح لمحمد محمود حجازي: جـ٣ صـ ٨٨٦، ٨٨٧– ط: : دار الجيل الجديد – بيروت. بتصرف.

- سبق تخريجه ص ٣٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله ونعمته تتم الصالحات بعد أن انتهيت من هذا البحث فقد استخلصت النتائج الآتية:

١- الترقي في معاجم اللغة من معاني رقا بمعنى التدرج والصعود والارتفاع وعند البلاغيين والمفسرين من لطائف الإعجاز كالتقديم والتأخير وترتيب المفردات ونظم الكلمات وتقديم الأولى على من هو دونه.

٢- الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة للمعنى التي تليها مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض وبحيث لو وضع في مكان غيره لم يصلح.

٣- سورة القدر مكية في قول الجمهور وهي خمس آيات وثلاثون كلمة، ومائة واثنا عشر حرفا، وسميت ليلة القدر حيث قدر فيها إنزال القرآن ويقدر فيها أمور السنة، ولعظم قدرها وشرفها ولأن للطاعات فيها قدرًا عظيمًا وثوابًا جزيلاً.... إلخ.

٤- من العناصر المؤثرة في الترقي في المعنى التفسيري وفق الترقي والتدرج النظمي للسور الكريمة - استهلال السورة الكريمة بالتوكيد - بإن والجملة الفعلية في تأكيد وتقوية المعنى التفسيري والرد على المشتركين الذين نفوا أن يكون القرآن منزلاً من عند الله (ﷻ) وأن يكون المعجزة الخالدة للنبي (ﷺ).

٥- وثاني العناصر المؤثرة في الترقي في المعنى التفسيري للسورة الكريمة الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة الذي أسهم في الترقي بإفادته الإنزال للقرآن دفعة واحدة إلى السماء الدنيا بخلاف التنزيل الذي يفيد التدرج.

٦- وثالث العناصر المؤثرة في الترقي في المعنى التفسيري للسورة الكريمة إضافة الفعل "أنزلنا" إلى ضمير العظمة ففي ضمير العظمة وإسناد الإنزال إليه تشريف عظيم للقرآن ينبئ عن كمال العناية به مما أسهم في الترقي في المعنى التفسيري للآية الكريمة.

٧- ورابع العناصر المؤثرة في الترقي في المعنى التفسيري للسورة الكريمة الإضمار في موضع الإظهار في قوله ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ فالإتيان بضمير القرآن دون الاسم الظاهر ولم يجر له ذكر في أول السورة ساهم في الترقي في المعنى التفسيري من حيث الإيماء بأن القرآن حاضر في أذهان المسلمين وإيماء إلى نباهته المعنية عند التصريح به.

٨- وخامس العناصر المؤثرة في الترقي في المعنى التفسيري للسورة الكريمة حروف المعاني في قوله: ﴿ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ أي الظرفية ﴿ فِى ﴾ والاستغراق الشامل في ﴿ ٱلْقَدْرِ ﴾ والغاية في حرف ﴿ حَتَّىٰ ﴾. و-الواو – ما – الباء – من- عند من عدهم من حروف المعاني.

فقد أسهم الظرف ﴿ فِى ﴾ في ترقية المعنى وتعزيزه وجعل ليلة القدر ظرفًا لإنزال القرآن، كما أسهم حرف (أل) في ﴿ ٱلْقَدْرِ ﴾ الذي هو للاستغراق الشامل للجنس في ترقية المعنى إذ قصد به جعل هذا المركب ﴿ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ بمنزلة العلم لتلك الليلة كالعلم بالغلبة ولقبا لاجتماع تعريفين فيه تعريف المضاف إليه باللام مع تعريف المضاف بالإضافة، كما أسهم حرف الواو في موضعه من السورة في ترقية المعني إذ قصد به الحال، وعطف الخاص علي العام، وكذلك حرف ما إذ قصد به الاستفهام، وكذلك حرف الباء، إذ قصد به السببية، والمصاحبة، وحرف من إذ قصد به معني الباء كل في موضعه كما سيق بيانه _ فسبحان من كان هذا كلامه.

٩- وسادس العناصر المؤثرة في الترقي في المعنى التفسيري للسورة الكريمة تنكير ﴿ لَيْلَةٍ ﴾ وإضافتها إلى القدر وتعريف القدر، وقد أسهم في ترقية المعنى التفسيري للآية الكريمة.

١٠- وسابع العناصر المؤثرة في الترقي في المعنى التفسيري للسورة الكريمة أسلوب الاستفهام في قوله ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ﴾ وإسناده إلى ضمير المخاطب (ﷺ) فقد أسهم في الترقي للمعنى التفسيري لدلالته على علو قدر ليلة القدر وأن علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق فلا يدريها إلا علام الغيوب.

١١- وثامن العناصر المؤثرة في الترقي في المعنى التفسيري للسورة الكريمة إعادة اسم ليلة القدر والتكرير الثالث في قوله ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ أي الإظهار في موضع الإضمار حيث أعيد اسم ليلة القدر الذي سبق في بيان قوله ﴿ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[1] على خلاف مقتضى الظاهر لأن مقتضى الظاهر الإضمار فأظهرت ليلة القدر باسمها ولم يكتف بضميرها العائد إليها لأن المقام اقتضى ذلك فالمقام مقام تعظيم وتفخيم ليلة القدر صريحًا وكناية عن تعظيم ما أنزل فيها ليتطابق الشرفان والتكريم الثالث لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر، على لسان ملك ذي قدر، على أمة لها قدر فقد أسهم هذا كله في ترقية المعنى التفسيري للآية الكريمة.

١٢- وتاسع العناصر المؤثرة في الترقي في المعنى التفسيري للسورة الكريمة، التعبير بصيغة أفعل التفضيل، ﴿ خَيْرٌ ﴾ فقد أسهم هذا التعبير، بأن العمل، والعبادة في ليلة القدر، خير من العمل في ألف شهر، ليس فيه ليلة القدر، ففضيلة الزمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل، فقد أسهم في الترقي في المعنى التفسيري للآية الكريمة.

---

(١) سورة القدر: الآية ١ .

١٣- وعاشر العناصر المؤثرة، في الترقي في المعنى التفسيري، للسورة الكريمة، "التمييز" في ﴿شَهْرٍ﴾ في قوله ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ فقد أسهم في الترقي في المعنى التفسيري، إلى منتهاه في الآية الكريمة.

١٤- والحادي عشر من العناصر المؤثرة في الترقي، في المعنى التفسيري للسورة الكريمة، التعبير بالفعل المضارع ﴿نَتَنَزَّلُ﴾، فقد أسهم في الترقي في المعنى التفسيري للآية الكريمة، إذ أفاد بأن هذا المنزل متكرر في المستقبل المرة بعد المرة.

١٥- والثاني عشر من العناصر المؤثرة، في الترقي في المعنى التفسيري للسورة الكريمة، فإسناد التنزيل للملائكة حقق المعنى، وعززه ورقاه، وجعل الأنظار تتجه إليه فارتقى المعنى التفسيري للآية الكريمة، إذ دلت نزول الملائكة على كرامة القرآن، ولمن أنزل عليه، وللدين الذي نزل فيه وللأمة التي تتبع.

١٦- الثالث عشر من العناصر المؤثرة، في الترقي في المعنى التفسيري للسورة الكريمة، التخصيص بعد التعميم، في قوله تعالى: ﴿... ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾، وهو عند جمهور المفسرين جبريل (عليه السلام) فالملائكة تتنزل ومعهم سيدنا جبريل، وتخصيصه بعد تعميمه، في جملة ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أسهم في الترقي في المعنى التفسيري للآية الكريمة، حيث أفاد التعظيم له، والتشريف لشأنه، وهذا من فضل ليلة القدر وشرفها، حصول مجمع الملائكة، ومنهم جبريل (عليه السلام)، فنزوله في تلك الليلة ليعود عليها من الفضل مثل الذي حصل في مماثلتها الأول ليلة نزوله بالوحي في غار حراء.

١٧- الرابع عشر من العناصر المؤثرة، في الترقي في المعنى التفسيري للسورة الكريمة، التعبير بقوله تعالى: ﴿... بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، التي تفيد أنهم يتنزلون بسبب إذن ربهم لهم في النزول، أو مصاحبين لما أذن به ربهم من كل

أمر من الأمور التي قضى الله بها في تلك السنة، وهي دالة على عصمة الملائكة، وقوله ﴿رَبِّهِم﴾ أفاد تعظيمًا للملائكة، وتحقيرًا للعصاة فهذا التعبير عزز المعنى التفسيري، ورقاه إلى منتهاه.

١٨- الخامس عشر من العناصر المؤثرة، في الترقي في المعنى التفسيري للسورة الكريمة، التقديم والتأخير في قوله تعالى ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ فتنكير سلام للتعظيم وليلة القدر سلام للمبالغة وتقديم المسند، وهو سلام على المسند إليه لإفادة الاختصاص، أي ما هي إلا سلام، وقيل السلام سلام الملائكة بعضهم على بعض، ونزولهم بالسلامة، والخير، والبركة فهي سلام من الشر، وهي ليلة سالمة من كل شر، فلوحظ أن التقديم والتأخير قد أسهم في ترقية المعنى التفسيري للآية الكريمة.

١٩- السادس عشر من العناصر المؤثرة، في الترقي في المعنى التفسيري، حرف ﴿حَتَّىٰ﴾ وهي من حروف المعاني، التي تفيد الغاية، وأفاد التعبير بها دون "إلى" ليفهم أن لما بعدها حكم ما قبلها فيكون المطلع في حكم الليلة، وبالتالي قد أسهم في ترقية المعنى التفسيري للآية الكريمة.

٢٠- السابع عشر من العناصر المؤثرة، في الترقي في المعنى التفسيري للسورة الكريمة التعبير، بـ﴿مَطْلَعِ﴾، وإضافته إلى ﴿ٱلْفَجْرِ﴾ أي: يدوم السلام إلى طلوع الفجر بمعنى: أن ليلة القدر تمتد بعد مطلع الفجر بحيث إن صلاة الفجر تعتبر واقعة في تلك الليلة، لئلا يتوهم نهايتها كنهاية الفطر بآخر جزء من الليل، وبالتالي قد أسهم في ترقية المعنى التفسيري للآية الكريمة.

٢١- أوصي الباحثين بالبحث في الترقي في المعنى التفسيري لباقي سور القرآن الكريم خدمة لكتاب الله وإبراز إعجاز نظمه لفظًا ومعنى الذي عجز

الإنس والجن عن الإتيان بمثله لو بأقصر سورة منه ولو كان بعضهم لبعض ظهير.

والحمد لله الذي من علينا بليلة القدر الذي نزل فيها القرآن والتي ثواب العمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيه ليلة القدر والتي شرفها الله إضافة إلى نزول القرآن فيها وعظم ثواب العمل بها بتنزل الملائكة والروح فيها والتي هي سلام وخير وبركة وسلام من كل شيء تسلم الملائكة فيها بعضهم على بعض ويدوم السلام والخير والبركة فيها إلى طلوع الفجر فتمتد بعد مطلع الفجر فصلاة الفجر واقعة في تلك الليلة فيندب طلب تلك الليلة للفوز بفضلها وذلك في العشر الأواخر من شهر رمضان.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

١ – **القرآن الكريم.**

مراجع التفسير:

٢ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد ابن مصطفى – ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣ – البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي – ط: دار الفكر – بيروت.

٤ – تحرير المعنى السديد وتنوير الفعل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر ابن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونس – ط: الدار التونسية – تونس.

٥ – التفسير الكبير – مفاتيح الغيب لأبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي – ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦ – التفسير الواضح لمحمد محمود حجازي – ط: دار الجيل الجديد – بيروت.

٧ – السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير تسمى الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي – ط: بولاق الأميرية – القاهرة.

٨ – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري – ط: دار الكتاب العربي – بيروت.

٩ – اللباب في علوم الكتاب لأبي جعفر سراج الدين بن عادل الحنبلي – ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

١٠ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن تمام بن عطية الأندلسي ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

١١ – تفسير الماوردي – النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد البغدادي الشهير بالماوردي – ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

١٢ – الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القرطبي – ط: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة.

١٣ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبوسعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي – ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٤ – تفسير الإمام ابن عرفة لمحمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي أبوعبدالله – ط: مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس.

١٥ – تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي – ط: دار الكتب العلمية.

١٦ – حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري – ط: دار صادر – بيروت.

١٧ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي– ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

١٨ – فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي أبي لطف الله الحسيني النجاري القنوجي – ط: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – صيدا – بيروت.

١٩ – فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني – ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق – بيروت.

٢٠ – محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي – ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

٢١ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي – ط: دار الكلم الطيب –ـ بيروت.

٢٢ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعر – ط: دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

مراجع علوم القرآن:

٢٣ – الإتقان في علوم القرآن لعبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) – ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٤ – الوجوه والنظائر لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري – ط: مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة.

٢٥ – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجدالدين أبوطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي – ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية –ـ ط: لجنة إحياء التراث الإسلامي –ـ القاهرة.

٢٦ – دلائل الإعجاز في علم المعاني لأبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الفارسي الأصلي الجرجاني – ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٧ – معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي الفراء – ط: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر.

٢٨ – معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل أبوإسحاق الزجاج –ـ ط: عالم الكتب – بيروت.

٢٩ – مفردات غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني – ط: دار القلم – دمشق – بيروت.

٣٠ – مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني – ط: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

القراءات:

٣١ – الكنز في القراءات العشر لأبي محمد عبدالله المبارك – ط: مكتبة الثقافة الدينية.

٣٢ – المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر ويليه وجز في ياءات الإضافة في السور لعمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري أبوحفص – ط: دار الكتب العلمية.

٣٣ – غيث النفع في القراءات السبع لعلي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي (المتوفى: ١١١٨هـ) ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

مراجع الحديث:

٣٤ – سنن الترمذي (الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة) ط: دار الحديث.

٣٥ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني – ط: دار الريان.

٣٦ – مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل – ط: دار الحديث.

معاجم اللغة:

٣٧ – معجم الفروق اللغوية لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري –ـ ط: مؤسسة النشر الإسلامي.

٣٨ – لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي أبوالفضل، جمال الدين ابن منظور – ط: دار صادر –ـ بيروت.

مراجع اللغة والبلاغة:

٣٩ – الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المصري المالكي – ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٤٠ – تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لعبدالعظيم بن الواحد ابن ظافر بن أبي الإصبع العدواني البغدادي ثم المصري – ط: الجمهورية العراقية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٤١ – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم الهاشمي– ط: المكتبة العصرية – بيروت.

٤٣ – حروف المعاني والصفات لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاونـــدي الزجاجي، أبو القاسم (ت: ٣٣٧هـــ) ط: مؤسسة الرسالة – بيـــروت – ط: الأولى ١٩٨٤م.

٤٤– معاني حروف المعاني عند ابن هشام والرماني بحث مقـــارن للـــدكتور عباس الترجمان ط ١٤٠٤هـــ ط مؤسسة الأعلمي – طهران – مطبعة الاحمدي.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	٥٠٧
الملخص باللغة الإنجليزية	٥٠٨
المقدمة	٥٠٩
المبحث الأول: معنى الترقي والتعريف بالسورة الكريمة	٥١٣
المطلب الأول: معني الترقي في اللغة، وعند البلاغيين، والمفسرين، والنماذج الموضحة لذلك	٥١٣
تعريف الترقي في اللغة	٥١٣
الترقي في الدراسات البلاغية والقرآنية (عند البلاغيين وعند المفسرين)	٥١٤
المطلب الثاني: التعريف بالسورة الكريمة	٥٣٠
المبحث الثاني: عناصر النظم المؤثرة في الترقي للمعني التفسيري للسورة الكريمة وذلك وفق الترقي والتدرج النظمي	٥٣٥
الفرق بين القدر والقضاء في معجم الفروق اللغوية	٥٤٥
تعيين ليلة القدر	٥٥٢
الخاتمة	٥٨٢
المصادر والمراجع	٥٨٨
فهرس الموضوعات	٥٩٤